ناجي جواد الساعاتي

تراث

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3718) السنة الرابعة عشرة - الخميس (18) آب 2016

WWW. almadasupplements.com

11

الموروث الشعبي في مؤلفات الأديب الرحالة الساعاتي

ناجي جواد الساعاتي مصلح الساعات الذي اصبح لاحقا رحالة مشهورا جاب العالم وكتب في ادب الرحلات حتى صار علم من اعلامه ورائدا من رواده في الادب العراقي....وفي النهاية غلبت صفة الادب عليه على صفة تاجر الساعات ، كما غلبت عليه صفة الداعم لابرز مشاريع الثقافية والتعليم الخيرية كالمساهمة في تعمير مكتبة الخلاني الشهيرة، ودعم ادارات المدارس الجعفرية الاهلية. وقبل ذلك فالساعاتي هو تاجر بنكهة انسانية قريب من الفقراء لانه نشأ بينهم وشق طريقه للنجاح بعصامية صارمة ...سيرته عراقية بامتياز شهدت وساهمت في ارساء زمن عراقي كانت تضبط يومياته اشهر الساعات السويسرية (اولما) التي استوردها ناجي جواد الساعاتي ابان بدايات الاربعينيات من عمر الدولة العراقية.

توفيق التميمي

ناجي جواد مصلح الساعات الذي اصبح رائدا لادب الرحلات في العراق

صبابيغ الآل

لم ينس ناجي جواد الساعاتي ابدا تلك المحلة التي ابصر النور فيها محلة صبابيغ الآل العريقة ١٩٢٢،حيث عاش طفولته في هذا الحي البغدادي الذي سكنه علية البغداديون وابرز الشخصيات التي اسهمت في بناء النهضة التنويرية للعراق الحديث، كعائلة جعفر ابو التمن وعائلة محمد مهدي كبه ود ابراهيم كبة والوزير صادق البصام والمحامي الشهير عبود الشالجي والمؤرخ عبدالرزاق الحسني والوزير عبدالحسن زلزلة والمعماري محمد مكية وعشرات الرموز والشخصيات التي احصاها المؤرخ رفعت مرهون الصفار في كتابه عن المحلة....في هذا الحي تلقى ناجي جواد الساعاتي تعليمه الابتدائي في المدرسة الهاشمية ثم الثانوية الجعفرية المسائية وتدرج حتى نال ليسانس الحقوق من الدراسات المسائية ايضا في جامعة بغداد ١٩٥٤م...

ظل طوال تواجده في بغداد يستوقف من معه عندما يصادف مروره مما تبقى من اطلال محلته العريقة، فيستاذنهم دقائق للوقوف على ما تبقى من محلته كيما يستنشق عبير الذكريات التي رحلت من محلة صبابيغ الآل البغدادية وترسبت في اعماق روحه وذاكرته ولم تغادرهما ابدا.

لقب الساعاتي

كان ابوه جواد الساعاتي هو البطل الاول في قصة العائلة مع الساعات حيث كان يعمل في دكان متواضع بسوق الساعجية بدايات القرن الماضي بجوار المستنصرية القديمة...في يوم من ايام الحرب العالمية الاولى دخل ضابط اجنبي الى محله طالبا منه تصليح ساعته،فقام بتصليحها...ومن تلك اللحظة اصبح الحاج جواد اول مصلحا من المسلمين للساعات في العراق وعلّم المهنة بعد ذلك الى اخوته محمد حسين و عبد اللطيف، ثم انتقلت المهنة الى الأبناء بل و حتى بعض الأحفاد. ومن ذلك الحين اختفى لقبهم العشائري الذي يعود لقبيلة بني اسد العربية الاصيلة من فخذ المراياتي ليحل محله لقب الساعاتي الذي اشتهر به ناجي جواد تاجرا واديبا وعلما من اعلام ادب الرحلات في العراق (كان ابي جواد يعمل في سوق الكمارك حيث يقع فيه دكانه المتواضع ليجلس وراء منضدة يعالج كومة من الساعات الجيبية ليعيد اليها نبض الحياة (تك تاك)اذ رغم الحكم الوطني الذي بوأ الشريف فيصل ملكا على عرش العراق فأن الاسواق العراقية مازالت تكتضض بالكثير من جنود الاحتلال انكليز وهنود وكلهم ينثرون (الليرات)) العثمانية و((الروبيات)) الهندية الفضية في تعاملهم مع اصحاب الحرف والمهن اليدوية)من انا؟ ناجي الساعاتي جريدة القادسية ٤ ت١ ١٩٩١

سوق السراي

في الجامعة شعر ناجي جواد بانعطافة في حياته غيرت مجراها وانعطفت بها من مهنة الساعاتي التي ورثها الى حرفة الادب وتعاطي الثقافة التي سحرته باجوائها وبهرتها بعوالمها وخيالاتها فشعر بالحرية في الكلام والمناقشة.....بدات في هذه المرحلة في حياة الساعاتي بوادر تفتحه على عالم القراءة والادب ومشاوير سوق السراي القريب من عمله..

كانت الفترة الجامعية من حياة الساعاتي هي الانطلاقة في عالمه الذي استهواه وملك عليه يومياته واستحوذ على قلمه في الرحلات وادبها ومؤلفاتها ،تخرج من الكلية وحصل على ليسانس الحقوق ١٩٥٤ رغم جمعه بين العمل والدراسة في ان واحد

كانت والدته واخوه فخري الوحيدين الذين يشجعانه على مواصلة الدراسة.

مستورد الساعات

تحول ناجي جواد الساعاتي من تصليح الساعات الى استيرادها.... مطلع اربعينيات القرن السابق،فكان الأول بين التجار المسلمين العراقيين الذي استورد ماركات الساعات السويسرية (اولما سيما)... سبقه في ذلك تجار يهود ومسيحيين عراقيين،ومنهم التاجر اليهودي سالم عبدو.....

عرف ناجي الساعاتي مستوردا لماركة ساعات (اولماوسيما) المشهورة وكان يستورد منها بالالاف لانها رخيصة الثمن ويستطيع الفقراء وابناء الطبقة الوسطى شرائها.....كان الساعاتي يبيع ساعاته الى نقابات العمال والجمعيات الاستهلاكية بطريقة الاقساط الشهرية المريحة، وكان اخوه فخري يزود الكلية العسكرية و كلية الشرطة بنفس الطريقة و مازال الكثير من الضباط القدامى والموظفين المتقاعدين محتفظين بساعات (اولما) المشتراة من الساعاتي. بينما كان التاجر (حبيب منصور) المسيحي وكيلا لشركة ساعات(رولكس) الغالية والنفيسة والمشهورة والتي لايستورد منها الا يومياته واستحوذ على قلمه في الرحلات وادبها ومؤلفاتها ،تخرج من الكلية وحصل على ليسانس الحقوق ١٩٥٤ رغم جمعه بين العمل والدراسة في ان واحد

كانت والدته واخوه فخري الوحيدين الذين يشجعانه على مواصلة الدراسة.

مستورد الساعات

تحول ناجي جواد الساعاتي من تصليح الساعات الى استيرادها.... مطلع اربعينيات القرن السابق،فكان الأول بين التجار المسلمين العراقيين الذي استورد ماركات الساعات السويسرية (اولما سيما)... سبقه في ذلك تجار يهود ومسيحيين عراقيين،ومنهم التاجر اليهودي سالم عبدو.....

عرف ناجي الساعاتي مستوردا لماركة ساعات (اولماوسيما) المشهورة وكان يستورد منها بالالاف لانها رخيصة الثمن ويستطيع الفقراء وابناء الطبقة الوسطى شرائها.....كان الساعاتي يبيع ساعاته الى نقابات العمال

السعدون في العمارة التي شيدها وحتى الوقت الحاضر تعرف بعمارة ناجي جواد الساعاتي.

الكتاب الاول

خلال دراسته الجامعية للحقوق بدأت اولى محاولات ناجي جواد الادبية ونشاطاته الثقافية، فكان يراسل الصحف والمجلات المحلية، ونشرت مقالاته الاولى في جريدة الهاتف لصاحبها جعفر الخليلي،وجريدة البلاد لصاحبها روفائيل بطي وهو من رواد الصحافة الحديثة في العراق، وجريدة الأيام لصاحبها عبد القادر البراك. وبعد مرحلة نشر المقالات ظهر له اول كتاب عام ١٩٥٧ بعنوان(رسائل من الهند) وهو عبارة عن رسائل ارسلها الى ابنته الكبرى ايام، يصف فيها احوال الهند وطبيعتها وطباع اهلها. وتاثر في اسلوب الكتاب وصياغته برسائل نهرو الى ابنته انديرا غاندي التي كان يراسلها من السجن، لاقى الكتاب ترحيبا في الاوساط الادبية عند صدوره لكونه من المحاولات القليلة في ادب الرحلات في الثقافة العراقية،بعد ان تحسنت احواله وتغيرت مسيرة حياته من الفقر الى الغنى وحصل من تجارة الساعات خيرا من الاموال والعلاقات الطيبة بالزبائن وتجار الساعات، ولايمانه بان المال وسيلة لا غاية، فمنذ ذلك الحين والساعاتي يوظف امواله في خدمة الثقافة ومؤازرة الادباء الفقراء وتمويل مشاريعهم واعانتهم على شظف الحياة.

اصدر الساعاتي كتابه الاول عام ١٩٥٩ ((قصة الوقت))الذي ترجم للغة الانكليزية ونشر في سويسرا وظهر الكتاب بمقدمة مهمة للدكتور العلامة مصطفى جواد.. قبل ان يخوض ناجي جواد الساعاتي في كتابة ادب الرحلات في طريق قل سالكيه وانقطع سبيله في الادب المعاصر بعد ابن بطوطة وابن جبير وابن ماجد ، وقبل ان يصبح ناجي جواد احد نجومه القلائل في سماء الابداع العراقي..كان قد جرب كتابة القصة وظهرت مجموعته الاولى (مع الايام) مطبوعة عام ١٩٦٧، جوبهت المجموعة التي ظهرت بين نجوم الرواية والقصة في ذلك الوقت،بسخط من قبل النقاد وشعر الساعاتي نفسه بعدم الرضا وادرك بانه لايمتلكة الادوات التي تؤهله في مواصلة مشوار القصة فاختار ان يتخصص في ادب الرحلات التي ابدع فيها وتميز...من يتابع مؤلفات الساعاتي سواء في النقد او الادب القصصي يجد ان للساعتي وجهة نظر من الادب ورسالته في الحياة ومن يتابع قراءة كتبه في الرحلات التي زادت على الستة عشركتابا عن رحلاته الى دول العالم يجدها تتميز بسلاسة الاسلوب والتشويق والمتعة في السياحة الجغرافية للاماكن والبلدان التي زارها، والبراعة في تصوير عادات شعوبها واحوالهم التي كان ينشهدها بعين الاديب الحساسة ورؤيته الثاقبة فضلا عن ما كان الساعاتي يجتهد في اضافته من معلومات بلدانية تتعلق بهذا البلد او ذاك تغني ذاكرة القارئ وتشبع فضوله وتزيد من توقه لزيارة البلدان والشوق للارتحال اليها.

مكتبة الخلاني ومشاريع خيرية

كثيرا ما كانت مبادرات ناجي جواد الساعاتي الخيرية في خدمة الوطن تتعارض وتتصادم مع رؤية الحكومات الطائفية التي توالت على حكم البلاد...فمثلا عندما تنادى الساعتي مع مجموعة من تجار ميسورين الى معاضدة السيد المرحوم محمد الحيدري امام وخطيب جامع الخلاني، بتاسيس مكتبة الخلاني العامة والتي اصبحت خلال فترة و جيزة من انفس المكتبات العراقية، اغلقت سلطات النظام السابق المكتبة وابقت على قاعة المطالعة فقط،وبقي للساعتي ركنا خاصا به في مكتبة الخلاني للكتب التي يقوم بشرائها واهدائها الى هذه المكتبة العامرة باصناف مؤلفات المعرفة.وعندما سعى الساعاتي لدعم وتمويل مشروع جامعة الكوفة العلمي لاقى ايضا الصدود والعراقيل من قبل السلطات التي وادت المشروع في مهده ولاحقت اصحابه وعندما وضع اموله في دعم وتوسيع المدارس الجعفرية والتي كان عضوا في مجلس ادارتها من بداية ١٩٦٢ اممتها سلطة البعثية الثانية لصالحها بدايات سبعينيات القرن السابق،وعندما فكر باستثمار اموله في اول عمارة ترتفع في شارع السعدون كانت له قرارات التاميم لحكومة عبدالسلام عارف بالمرصاد.

تروي السيدة آسيا زوجة السياسي الكردي المعروف توفيق وهبي،وكانت وقتها مديرة سابقة في جمعية الهلال الاحمر الانسانية عن دور و اسهامات ناجي جواد الساعاتي في هذه الجمعية قائلة:كان من اكرم العراقيين واكثرهم تبرعا للهلال الاحمر واي نقص في مشاريع الجمعية كان يغطيه بنفسه.

مع مشاهير الادب ونجوم الفن

كان الساعاتي يتجنب السياسيين في علاقاته، وبالعكس من ذلك كان يوطد علاقته جدا بمشاهير الادباء والفنانين، ليس العراقيين منهم فحسب بل مشاهير الادباء العرب.

ارتبط الساعاتي بعلاقة خاصة ومميزة بالشاعر السوري نزار قباني توجت بنجاح مسعاه في تزويجه من العراقية بلقيس الراوي في بيت الساعاتي على ابي نؤاس و كذلك المفكر اللبناني حسين مروة الذي كان ينزل ضيفا في بيته عند قدومه من اهله في لبنان،و من اقرب اصدقائه من العراقيين كان الشاعر الكبير الجواهري والشاعر الوطني محمد صالح بحر العلوم،والعلامة د مصطفى جواد و العلامة محمد بهجت الاثري وطه باقر وصفاء خلوصي وحسين امين ورائد القصة العراقية ذو النون ايوب والكاتب العراقي التركماني وحيد الدين بهاء الدين والقاص والاديب جعفر الخليلي و الشاعر بدر شاكر السياب وميخائيل نعيمة ولميعة عباس عمارة.وله كتاب اسمه (من ادب الرسائل))هو عبارة عن رسائل متبادلة بينه وبين هؤلاء الادباء وغيرهم.

نهاية المشوار

بعد رحلة عصامية دامت ثمانية وثمانين عاما حقق خلالها الاديب وتاجر الساعات ناجي جواد جزءا من احلامه في السفر والترحال والتاليف وتاسيس المشاريع التجارية ذات البعد الوطني والانساني وبعد صراع مع المرض ،وفي غربة موحشة في لندن اغمض ناجي جواد الساعاتي عينيه في فجر يوم الاثنين الموافق ١٨ ايار ٢٠٠٩ ليلقي ربه راضيا مرضيا وتطوى صفحة متالقة من صفحات الادب العراقي والتجارة الوطنية العراقية الغيورة.. ويدفن في مقابر غريبة بخلاف ما كان يامله ويحلم به ان يدفن تحت ثرى العراق.

مسابقة الساعاتي لادب الرحلات

من اجل ان لاينطفئ ذكره ولا يتوقف عطائه،ولتأصيل اعماله الخيرية وتخليدها ومشاريعه الثقافية ورحلاته الكثيرة وما اسفر عنها من كتب ومؤلفات اغنت المكتبة العراقية بهذا الميدان..بادر نجله الدكتور سعد ناجي جواد استاذ العلوم السياسية بتشكيل لجنة من مجموعة من المثقفين والادباء اسماها لجنة الحفاظ على تراث ناجي جواد الساعاتي وكانت اولى اعمالها تاسيس جائزة باسم جائزة ناجي جواد الساعاتي لافضل كتاب في ادب الرحلات او تراث بغداد،انطلقت دورتها الاولى في ١٨ /٥/ ٢٠١٠ ببغداد وتزامنا مع الذكرى الاولى لرحيله،واصبح ذلك تقليدا ثقافيا سنويا يشرف عليه اتحاد الادباء والكتاب العراقيين واللجنة المذكورة، وخلال السنوات المنصرمة توسعت هذه الجائزة من محيطها العراقي الى المحيط العربي والعالمي حيث حضيت مشاركاتها السنوية بالعشرات من الاعمال لكتاب عرب واجانب في ادب الرحلات.

رحم الله الساعاتي فقد كان بغداديا اصيلا واديبا لامعا من الصف الاول في ادب الرحلات لم ينافسه احد طوال اكثر من نصف قرن كما كان انسانا عراقيا نبيل سعى لتوظيف ما كانت تدر عليه تجارته في الساعات لدعم مشاريع الثقافة وتمويلها ورعاية المثقفين في حياتهم ومطبوعاتهم وانجازاتهم.

منزله الانيق في شارع ابي نؤاس شهد حكايا وذكريات عن علاقاته مع ابرز نجوم الادب والثقافي في العراق والعالم العربي.

عشرات من المشاريع الخيرية والشواخص العمرانية ابرزها عمارته في شارع السعدون تنطق بمساره الوطني في التجارة

كان يمكن ان يكون الساعاتي طلعت حرب عراقيا في تاسيس صناعة وطنية للثقافة العراقية تدعم الدولة وتؤازرها....ولكن؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ناجي جواد... طيب الله ثراه

المشايخ أشجار الوقار.. ومنابع الأخبار

د. شوقي ناجي جواد

أنه من العصاميين الذين اقاموا لهم مكانة مرموقة في المجتمع العراقي عامة والبغدادي بخاصة، ويعود ذلك الى ما تمتع به المرحوم ناجي جواد من مواهب الذكاء والوداعة والطموح، كل ذلك كانت مقومات ذلك الفقيد الذي نشأ في احدى محلات بغداد القديمة (صابئبغ الآل) وتربى تربية حسنة واكتسب اجمل العادات والاداب والتقاليد المتوارثة، ونشأ مزودا باخلاق الاباء ومتأثرا بآداب ابناء المحلة حيث برزت المروءة والمكارم والوفاء وحقوق الجوار. ولد فتى بغداد ناجي جواد الساعاتي في سنة ١٩٢٢ وانتقل الى جوار ربه سنة ٢٠٠٩ وترك تراثا حيا من الصفات الجميلة والمؤلفات المفيدة والسيرة الحميدة وسيبقى ناجي جواد حيا في ذاكرة معارفه واصدقائه، وأبنائه وكل من يكن له العرفان.

صنع ناجي جواد نفسه وكونها على مدى تسعة عقود ليصبح التاجر والمحامي والأديب. أمتهن صناعة وتصليح الساعات منذ العام ١٩٣٨ نقلاً وتقليداً، عن أبيه وعمهُ عبد اللطيف، وأشقائه (كاظم وإبراهيم ومهدي وأخيه فخري). ولازم أخيه فخري لتقارب عمريهما ولما يتمتع به من قوة الشخصية والجرأة والاقدام على معاركة الحياة أكثر من أخيه ناجي. كما شارك مسيرة حياته منذ أول إطلالتها على الأعمال، أبن عمه عبد الجبار عبد اللطيف الساعاتي وباشر يعارك الحياة معه ويقاسمهُ نشاط تصليح وبيع الساعات، ثم أستقل كل منهما بعمله بعد العام ١٩٤٥ من القرن المنصرم.

ومنذ طفولته، لازم ناجي جواد والدته وترعرع بين يديها وأستظل بظلها وتعلم من حكمتها في العيش والحياة سيما بعد وفاة والده جواد علي الأسدي الساعاتي. وأستنار ناجي جواد برؤية والدته نحو المستقبل وأخذ من خصالها المرحة والمتفائلة والشغوفة بالترحال والتنقل بين وعبر ساحات الأقارب والأحبة والأصدقاء وعبر الأماكن العراقية والعربية والأجنبية المتنوعة، حتى آخر أيامه.

أفتتح ناجي جواد أول دكان له في سوق الساعاتية (المعروف بسوق الكمرل) وسط بغداد قرب شارع السموأل، ثم أنتقل بعد ذلك إلى شارع الرشيد قرب ساحة الملك فيصل الثاني والتي سميت بعد العام ١٩٥٨ بساحة الوثبة، أو ساحة حافظ القاضي كما كان يطلق عليها من قبل عامة العراقيين. وحصل على أول وكالة للساعات السويسرية ماركة (أولما OLMA) في نهاية العام ١٩٤٨ بتوصية من الساعاتي عبده (الحاج الله) الذي كان يمتلك حق توزيعها في العراق. صار دكان ناجي جواد ملتقى للعديد من الشخصيات الذين كانوا يرتاحون بشتى ميولهم وآرائهم وصناعاتهم ومهنهم، وصار له من الاصدقاء الادباء والمثقفين نخبة طيبة، كانوا (كما اراى) زبدة الرجال الاوفياء وسلافة الناس الكرماء، فله اصدقاء أعزاء من الاطباء والصيادلة والمحامين والمؤرخين والتجار والفنانين واصحاب الحرف ممن يصعب عليَّ تحديدهم وتعدادهم وانني اذ انظر الى العدد الضخم من اصدقائه، افكر بالجهد الذي بذله هؤلاء الاصدقاء وبالصبر الذي كابده ناجي جواد في الحفاظ على استمرار وديمومة ومتانة هذه الصداقة.

تزوج ناجي جواد في العام ١٩٣٩ ورزق بولده البكر شوقي في أوائل العام ١٩٤٠ ورزق تباعا بالأشقاء، قيس، وهيفاء وعلي (رحمه الله)، وسعد، ورعد، والأختين أيام (رحمها الله) وحلم. وحصل على شهادة ليسانس حقوق في العام ١٩٥٤. وأختار زوجته الثانية في العام ١٩٥٥.

حقق ناجي جواد النجاح والشهرة الريادية في عمله المتخصص، وطغى أسمه التجاري على الشارع العراقي منذ بداية الخمسينات من القرن المنصرم، وأصبحت عبارة (ناجي جواد – بغداد- العراق) عنوانا كاملاً له يستدل بها ساعي البريد دون الحاجة إلى تعريفات أخرى. فإذا شيعت له رسالة من بلد أجنبي ودونت عليها هذه العبارة وصلت إليه دون شك.

قدس ناجي جواد الصداقة والعلاقة الحميمة، وكان يمنح الأصدقاء المتسع من وقته وجهده ورعايته، كل حسب نوع وشدة الجذب التلقائي التي نشأة مع ذاك الصديق. فقد توجه ومنذ أول سني نضوجه نحو الأدب والعلم والتجارة معا. فكان يحفظ الشعر ويقرأ الأدب ويخالط الناشطين في هذين المجالين. عشق العمل الاجتماعي من الحياة عبر مسيرته، فكان جليساً مواظباً للكتاب والشعراء والفنانين وحاضرا لمجالس الأدب والشعر والثقافة والفن، واستطاع أن يجمع كل من كان حاضراً في العام ١٩٨٣ منهم مرة واحدة. وهو الدعوب على تطوير حياته وعلاقاته من خلال تلك المجالس ويعززها بعلاقات الصداقة والمحبة والألفة. ومتعاطفا مع من يصادفه عبر تلك المجالس أو يتقرب من كل من حظي بالمعرفة والعلم ليأخذ منه لصالح حياته، حتى وافته المنية في بداية النصف الثاني من شهر أيار (مايس) من العام ٢٠٠٩.

طغت على ناجي جواد ملازمته للأدباء والشعراء والفنانين وذوي المواهب العلمية والأدبية والمربين، حتى إذا أنتبه إلى هذه الملازمة من كان يبحث عن الشهرة سارع إلى التواجد بقرب ناجي جواد عسى أن يحظى بمعرفة من سيلتقي وينتفع من ذلك اللقاء. وفي ذاكرة ولده البكر شوقي المدون لهذا الاستهلال بعض من تلك الأسماء. وهو الذي كان أكثر المرافقين لوالده عن إخوته الآخرين، فقد كان له شرف لقاء هذا الجمع الكبير والجامع للمعرفة، فجالس العديد منهم واستمع إليهم وتعلم منهم وتثقف على أيدي بعضهم كامثال المربي عبد الحميد المحاري، والكاتب الذكي طعمه السعدي والعم مهدي جواد الساعاتي رحمهم الله تعالى جميعا برحمته الواسعة. وقد كان لكل منهم دور بارز في تعليم شوقي وتثقيفه وغرس الذكريات الطيبة وتعلمهم للمعرفة المعلنة والضمنية إليه. ويعرض الملحق (١) من كتاب (في رياض الكتب) أسماء الأدباء والشعراء والفنانين الذين جلس إليهم على بعضا من خبراتهم، وطبع البعض منهم في سلوكية شوقي الشيء الكثير من الخلق العراقي الذي نفتقد بعضا منه في يومنا هذا، ونحن على مشارف العقد الثاني من الألفية الثالثة.

ولما كان ناجي جواد – طيب الله ثراه – مولعا وشغوفا بالسفر والتنقل بين البلدان والأمصار، ويعبر حدود دول العالم الواسع فقد شرع ومنذ أول سفرة طويلة له أن يوثق مشاهداته وانطباعاته بكتب بلغ مجموعها أربعة عشر كتابا، مما حدا بالعديد من الكتاب نعته بالأديب الرحالة ووصف أدبه بأدب الرحلات. واسمحوا لي هنا أن اثبت بان والدي رحمه الله تحمل أعباء كتبه كلها ويقدمها طوعا ليتمتع بها المحبين والمطالعين والراغبين بالاستزادة وتطوير الآفاق وغيرهم، ولم يجني منها ما يجنيه الكتاب الآخرين، فتحمل تكاليفها وشقي بتوزيعها على الأحبة والأصدقاء والمعارف جميعا دون مقابل سوى الرغبة في نشر المعرفة التي تراكمت عنده وتزويد الناس بها. الملحق (٢) يضم عناوين تلك الكتب.

وتزخر مؤلفات الرحالة الاستاذ ناجي جواد الساعاتي بتتبع واستقصاء جوانب الموروث الشعبي للشعوب التي يزور ويرحل اليى بلدانها ودولها حيث يصور بدقة متناهية القيم والعادات والتقاليد والفنون والآداب والصناعات الشعبية، ويجمع كل ما تتضمنه الحياة الشعبية في جانبيها المادي والنظري، وينقل منها ما يستطيعه للقارئ بأمانة علمية دقيقة لا تشوبها أي شائبة من بالغة او تمويه، ولا يضع على ما تنقله عدسته التي يقطر منها جنانه فوق قلمه على الورق الا التعليق البسيط، أو الربط بين قيم وعادات وموروث شعبي قيّم وحديث ومعاصر، ليقدم الصورة بابعادها وداخل الإطار الذي يجعل من يتناولها في موقف المتخيل، ويعيش في الاجواء والمواقف ذاتها ليظل على بينة واضحة.

أحب ناجي جواد رحمه الله الإخوان والأصدقاء والمعارف من الأدباء والشعراء والفنانين والسياسيين والمنشدين والصادحين بأصواتهم الشجية والتجار ونوي المهن والحرفين بنزاهة وإخلاص، لا يرجو أمراً إلا إعلاء راية الإخوة والتآلف وتوثيق عرى الإنسانية بين الجميع.

وتوكيدا لما تم تدوينه أندفع ناجي جواد قبل نهاية العام ١٩٨٣ نحو أثبات مصداقيته في الحياة وفق كل ما ذكرته آنفا، إلى دعوة كل من كان على قيد الحياة، وهو داخل العراق آنذاك إلى لقاء جامع كبير في رحاب نادي العلوية في بغداد ضم أكثر من ثمانين منهم. وقام بتخليد ذلك اللقاء في صورة فريدة من نوعها تعرض هذا الكم من المعارف والأصدقاء الأضداد والمنافسين والأحبة.

وشغفا وحبا لوالدي ناجي حواد نشرت آخر موروثاته وأوراقه العلمية والأدبية التي أودعها إياي، في الكتاب الموسوم (من رياض الكتب) وقدمته هدية وبحسب توصيته، لكل من عرف أو تعرف وصاحب أو لازم أو رافق وأحب ناجي جواد. وقد عبر الكتاب عن حرص ناجي على إدامة العلاقة مع محبيه وتخليدها في سفر صالح يطلع عليه العامة والخاصة ويعيشوا الحقبة الزمنية التي عاشها منذ الأربعينات من القرن المنصرم وحتى نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة. وقد تم ترتيب مفردات الكتاب بحسب حروف اللغة العربية منعا لأي لبس إذ كان تأكيد والدي رحمه الله على إصداره، بعد أن ترك العراق في العام ١٩٩٦ الى نيوزيلاندة وهو عارف بأن الأيام لن تسعفه على ذلك.

رحم الله فقيدنا، وطيب ثراه، وخلد ذكراه الغالية، ومنح الإحياء منهم الصحة والعافية ومكنهم من العطاء لإدامة عرى المودة والصداقة والوفاء، وأسكن من تركنا جنة الخلد والله أرحم الراحمين.

كشف بأسماء الكتب التي أصدرها ناجي جواد الساعاتي (طيب الله ثراه)

ت اسم الكتاب مكان الصدور والسنة

١ رسائل من الهند في العراق ١٩٥٨
٢ قصة الوقت في العراق باللغة العربية ١٩٥٩
في سويسرا باللغة الأنكليزية ١٩٦٢
٣ كتب قرأتها في العراق ١٩٦٢
٤ من وحي السفر في العراق ١٩٦٦
٥ الأندلس في لبنان ١٩٦٦
٦ مع الأيام في العراق ١٩٦٧
٧ أفريقيا الخضراء / ليبيا في العراق ١٩٧٤
٨ أفريقيا الخضراء / تونس في العراق ١٩٧٧
٩ أفريقيا الخضراء / الجزائر في العراق ١٩٨٢
١٠ أفريقيا الخضراء / المغرب في العراق ١٩٨٣
١١ أدب الرسائل ١٩٨٣ في العراق ١٩٨٣
١٢ سويسرا خيمة العالم في العراق ١٩٩٢
١٣ سيرة ومدينة في الأردن ٢٠٠٠ دار الفارس
١٤ نيوزيلاند في سوريا ٢٠٠١ الضاد حلب
١٥ في رياض الكتب تولى إصداره ولده الدكتور شوقي في العام ٢٠١١.

كتاب قصة الوقت

الساعة اختراع مهم وعظيم، وقصتها طويلة جداً تعود بدايتها إلى العصر الحجري، فقد أدرك الإنسان منذ ذلك العصر قيمة الوقت وأهمية تقسيمه وتنظيمه ليحسن الاستفادة منه، وأخذ يبحث عن طريقة تمكنه من ذلك فأعانته الشمس. قالت له: أنا أنشر نوري من الصباح حتى المساء، وأتحرك من الشرق إلى الغرب. أستطيع مساعدتك لكن عليك أن تفكر أنت في الطريقة.

فلاحظ الإنسان أن ظلال الأشياء تكون طويلة في ساعات الصباح الأولى عند بداية ظهور الشمس وتقصر كلما ارتفعت الشمس عاليا في السماء، فإذا ما توسطت السماء كاد الظل يختفي ثم لا يلبث أن يعود فيطول بالاتجاه المعاكس اذا مالت الشمس الى الغروب.

وهكذا اهتدى إلى نصب عصاً يجعلها قائمة في الأرض، ويرسم مجموعة خطوط متتالية على الأرض من جهة الشرق وأخرى من جهة الغرب بحسب امتداد الظل وكلما تجاوز الظل خطاً يدل على مرور ساعة.

لكنه جلس محتاراً في الليل عندما يختفي نور الشمس فمدت له يد الكعونة النجوم التي تملأ السماء قالت له: نحن النجوم لا نظهر كلنا في وقت واحد. في كل ساعة من ساعات اليل تظهر نجمة وتختفي أخرى، فراقب النجوم وحفظ مواقعها وأطلق عليها تسميات مختلفة وهكذا تمكن من تقسيم أوقات النهار وأوقات الليل. لكنه عاد الى حيرته ثانية عندما مأت غيوم الأمطار السماء فحجبت نور الشمس وبريق النجوم، إنه يحجب هذه الغيوم ولا يستطيع أن يطلب منها الرحيل فهي تسقي الأرض وتنبت الزرع وتفرح بها كل المخلوقات لذلك كان عليه أن يجد طرقا أخرى.

وهكذا كان الوقت بالنسبة للإنسان البدائي، عبارة عن الفرق بين النور والظلام... أي النهار والليل فقط. ولما كان يعرفه الإنسان هو أن يصطاد في النهار وينام في الليل. وعند ما أخذ يلاحظ مرور خطوط الظلام المنبعثة من الأشجار التي ترسم ظلالها على الأرض، تمكن بهذه الألتفاتة الذكية أن يقسم الإنسان البدائي حركة الظلال إلى أقسام معينة تتناسب وحياته البسيطة. نظر هذا الإنسان حوله فوجد عددا من الأصدقاء الذين هبوا لمساعدته، أولهم الديك الصياح ثم الماء والرمل، حتى النار وقفت الى جانبه ليس بقوة اشعاعها وضيائها إنما بقوة إحراقها. فاخترع أشكالاً وأنواعاً عديدة من الساعات المائية والرملية والنارية ولعل أغرب هذه الساعات القديمة هي الساعة النارية التي استخدمها السينيون القدماء. وهي تتكون من زورق صغير ثبت على طول تجويفه قضيب من نشارة الخشب المزوجة بالقطران الذي يساعد على الإشتعال. وقد ربط هذا القضيب من منتصفه بخيط تتدلى من طرفيه كرتان نحاسيتان. وتحت الزورق وضعوا طبقاً نحاسياً أيضاً وعندما يشعلون القضيب يحترق ببطء حتى يصل الى المنتصف فيحرق معه الخيط فتسقط الكرتان النحاسيتان في الطبق وقد أصدرتا رنيناً شديداً معلنتين عن مرور ساعة من الزمن وهكذا تعاد العملية كلما احترق نصف قضيب. كانت هذه الطريقة مكلفة ومتعبة لذلك تابع الانسان اختراعاته حتى وصل إلى أسهل طريقة.

إنّ الزّمن هو محور أنشطتنا اليوميّة، وقد تكوّن لدينا الإحساس الأوّلي بهذا المفهوم (مرور الزّمن) من خلال ما نمارسه من أمور حياتنا عبر الشعور بحدوث الظّواهر الطّبيعيّة وبالتّالي فنحن نقدّر الزّمن اعتماداً على الظّواهر الطّبيعيّة الّتي نعيشها ولكي نقيسه ينبغي أن نختار أحداثا تتكرّر بانتظام ثمّ نبتكر الوسائل لقياس المدد الزّمنيّة الّتي يستغرقها حدوثها المتكرّر.

ما المقصود بالمدّة الزّمنيّة؟ إنّنا نعيش أحداثا يوميّة عديدة كالأكل والذهاب إلى السّوق والدّراسة والنّوم...وهذه الأحداث تستغرق مددا زمنيّة طويلة كمدّة الدراسة ومددا زمنيّة قصيرة كزمن حدوث البرق، وبالتّالي فإنّ المدّة الزّمنيّة هي الفترة الّتي يستغرقها حدوث ظاهرة ما.

كيف نعيّن المدّة الزّمنيّة؟ لتعيين مدّة زمنيّة ينبغي اختيار بداية للزّمن، وهذه البداية اختياريّة وليس لها أيّ تأثير في مقدار مدّة حدوث الظّاهرة أو نتائجها فيمكن على سبيل المثال اعتماد منتصف اللّيل لتحديد زمن حدوث الظّواهر الّتي تمّت في اليوم، وبداية الشهر لتحديد أيام العمل والعطل والمواعيد، ويوم الميلاد لتحديد عمر المولود...

وحدة الزّمن: الزّمن قابل للقياس وبالتّالي فهو مقدار مقيس، ذلك أنّه بالإمكان مقارنة أزمنة وقوع الأحداث بعضها ببعض. وللزّمن وحدة قياس نظاميّة هي الثّانية.

اللّيل والنّهار: نلاحظ تعاقب ظاهرة اللّيل والنّهار، فالشّمس تشرق وترتفع إلى كبد السّماء ثمّ تنحدر إلى جهة الغرب، ثمّ تغيب فينتج عن ذلك الظّلام ويأتي اللّيل ثمّ تعود الشّمس إلى الشّروق من جديد وهكذا دواليك. وانطلاقا من هذه الظّاهرة الطّبيعيّة يمكن تعريف النّهار بأنّ المدّة الزّمنيّة الفاصلة بين شروق الشّمس وغروبها وأنّ اللّيل يمثّل المدّة الزمنيّة الفاصلة بين غروب الشّمس وشروقها وأنّ اليوم هو مجموع النّهار واللّيل. لكنّ الإشكاليّة الّتي يمكن طرحها هي ما سبب تعاقب اللّيل والنّهار؟

إنّنا نعرف أنّ الأرض تدور حول نفسها كما أنّها تدور حول الشّمس، فعند دورانها حول نفسها يواجه قسم منها الشّمس ويكون مضيء في حين يكون القسم الآخر مظلما، وهكذا يمكن القول إنّ النّهار هو الفترة الزّمنيّة الّتي يواجه فيها مكان ما من الأرض والشّمس، واللّيل هو الفترة الزّمنيّة الّتي لا يواجه فيها هذا المكان من الأرض الشّمس.

ومن المعروف كذلك أنّ الأرض تدور حول الشّمس، والفترة الزّمنيّة الّتي تستغرقها الأرض لتكمل دورة واحدة حول الشّمس وتسمّى السّنة وينتج عن ذلك الفصول الأربعة. ومن خلال ما سبق التعرّض إليه يتبيّن أنّنا نعتمد في قياس الزّمن على حركة الأرض حول نفسها وحول الشّمس، وبالتّالي فإنّ الكرة الأرضيّة تعتبر ساعة وهي وسيلتنا لقياس الزّمن.

ويدور القمر حول الأرض كذلك ويكمل دورته خلال مدّة زمنيّة تسمّى شهرا قمريّا، وأثناء هذا الشّهر يمرّ القمر بأربعة أطوار: الهلال ثمّ البدر ثمّ المحاق ثمّ البدء. فالقمر في هذا الشّهر يمّر خلال أزمان متساوية بأربعة أطوار وهكذا فإنّنا نقسم الشّهر القمري إلى أربعة أسابيع تقريبا ومن هذا المنطلق فالأهلّة هي مواقيت نعرف منها الزّمن.

ساعة الشمس

لا يستطيع أحد أن يقرر من هو أول إنسان لاحظ الظلال، ولكن من الثابت علمياً أن تأريخ أستعمال الساعة الشمسية يعود إلى دور مرحلة الزراعة والرعي عند إنسان وادي الرافدين و وادي النيل. إذ أن البابليين برعوا في هذا الفن. كما أشتهروا في علم الفلك، فرصدوا الشمس والقمر والنجوم، وراقبوا حركتها. كما برع المصريين القدماء في تركيز مسلاتهم الحجرية لمراقبة ظلالها المنبعثة على الأرض. كما أن هناك دول شرقية أستعملت ساعة الشمس على شكل عصا مضلعة الشكل ومنها الهند. وما زالت هذه العصا تستعمل في الحدائق العامة وعلى الجدران وحتى اليوم، وتسمى المزولة.

ساعة الماء

وعندما أراد البابليون أن يعرفوا الوقت عندما تحجب الغيوم الشمس، أكتشفوا ساعة الماء. وفي مصر عثر على ساعة الماء في معبد الكرنك. وأهتم الصينيون بصناعة ساعة الماء. كما عثر على ساعة الماء في اماكن متعددة ومتباعدة من العالم في سيلان وفي اليونان وعند الرومان وفي بريطانيا. وحتى في عصر الدولة العباسية فقد تطورت صناعة ساعة الماء، إذ كانت الوسيلة الوحيدة لضبط أوقات الصلاة، وشيدت ساعة المدرسة المستنصرية في بغداد والتي وصفها غير واحد من المؤرخين والشعراء. كما أشتهرت ساعة الماء في الجامع الأموي في دمشق، سوريا والذي شيده الوليد بن عبد الملك.

الساعة الرملية

هناك شبه اجماع على أن ساعة الرملية معاصرة لميلاد السيد المسيح عليه السلام وان ساعة الرمل صنعت من زجاجة شفافة ذات شكل بيضوي مخروطي من الرأسين. فإذا ما أرتكزت الزجاجة على قاعدتها تسرب الرمل الناعم من الجزء الأعلى إلى الجزء الأسفل منها منسلا من فتحة صغيرة إلى الجزء الثاني من الزجاجة. ومن كمية الرمل المستقر في الأسفل يحدد قياس الوقت الذي أستغرقته تلك الكمية. أضحت ساعة الرمل منذ القرن السادس عشر حتى يومنا هذا تستعمل كتحفة فنية كما تستعمل في مراقبة المكالمات الهاتفية وكذلك في المطابخ لمعرفة الوقت اللازم لنضوج البيض على النار.

ساعة النار

ثبت تأريخياً بان أول من استخدم الشمعة لقياس الوقت هم الصينيون. إذ صنعوا هذه الشمعة من مواد بطيئة الأحتراق، ويعبق عنها عطر فواح، وذلك لأنهم اعتادوا على أن يحرقوا أثمن العطور وأندرها أمام هياكلهم المقدسة وقبور أسلافهم.

الساعة الآلية

الساعة ذات العقارب والساعة ذات الخانات أحدث دخول علم الميكانيك إنقلابا جذريا في الصناعة والأقتصاد والسياسة والأجتماع، وسائر العلوم الأخرى. وهكذا حرك علم الميكانيك اللوالب البسيطة والدقيقة للساعة ومنها لوالب ذات القطب الواحد المستقر في وسط الآلة (الماكنة) والذي يرتكز عليه عقرب الساعة (ميل الساعة) الذي يسير بخفة وبطء كالسارق المحترف..... فيسرق بخطواته السحرية ثوان عمرنا الحيوية...

من ذكريات الساعاتي

وثبة ١٩٤٨

كان صباح يوم الثلاثاء المصادف ٢٧ من كانون الثاني ١٩٤٨ بهيجا غير ان بغداد بدت عابسة مكفهرة على الرغم من اشراقة شمسها كما بدا (شارع الرشيد) موحشا على الرغم من تقاطر الناس على ارصفته وارضه وتزاحمهم في ساحاته.

وكان محلي الصغير في منطقة (حافظ القاضي) من شارع الرشيد مستقرا مقابل ساحة (الوثبة)، الساحة الخالدة، التي تشرفت يومها بهذا الوسام الوطني النضالي، وفي ذلك الصباح كان الشعب الغاضب، على اختلاف طبقاته وقومياته ودياناته واتجاهاته السياسية متجمهرا وداعيا بصوت هادر الى اسقاط (معاهدة بروتسموث) الجائرة هائفا بحياة (فلسطين) حرة عربية.

واقبل الموكب المهيب من بعيد، وفي طليعته الوطنيون الاحرار من اهل الفكر وارباب السياسة وقادة الاحزاب الوطنية، والعلماء والروحانيون، والكسبة والعمال الوطلاب يحدو بهم الخطباء والشعراء.

فهذا شاعر الشعب (محمد صالح بحر العلوم) يرتقي اكتاف ابناء الشعب، وهو يلقي بحماسه المعهود قصائده النارية الملتهبة:

واغنية المجد ما وقعت
على غير اردوة قطع

ثم يمضي مع الجماهير. مخاطبا خونة الوطن وعملاء الاستعمار:

ويمينا لو هادنتكم يميني
لحظة لاقتطعتها بشمالي

واستمرت المواكب الجماهيرية طيلة ذلك اليوم الحزين، تطوف شوارع بغداد، كرخها ورصافتها، حاملة نعوش شهداء الوثبة الاحرار، (شمران) وجعفر الجواهري) و(قبس الالوسي) وغيرهم..

وفي الايام التالية اقيمت الفواتح ومجالس العزاء في (الصحن الكاظمي) و(الحضرة الكيلانية) و(جامع الامام الاعظم) و(جامع الخلاني).. كما اقامت الطوائف المسيحية في الاديرة والكنائس (القداسات)، فتوالت على بغداد وفود المعزين من المدن العراقية للمشاركة في مؤاساة عوائل الشهداء وهم يرددون قوله تعالى "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون". وعندما زرت مع صديقي (عبد العزيز جعفر ابي التمن) – طيب الله ثراه – الحضرة الكيلانية لقراءة سورة الفاتحة على اراوح الشهداء الابرار، شاهدنا شاعر العرب الكبير (محمد مهدي الجواهري) يقف شامخا ومنهم شقيقه (جعفر)، وهو يلقي رائعته الخالدة التي رددتها الجماهير في كل مكان، وتغنى بها الوطنيون الاحرار والثوار:

اتعلم ام انت لا تعلم
بان جراح الضحايا فم
فم ليس كالمدعي قوله
وليس كآخر يسترحم
اتعلم ان جراح الشهيد
تظل عن الثأر تستفهم
اخي (جعفرا) يا رواء الربيع
الى عفن بارد يسلم
تعلمت كيف تموت الرجال
وكيف يقام لهم مأتم
وكيف تجر اليك الجموع
كما انحر للحرم المحرم
اسالت تراك دموع الشباب
وفور منك الضريح الدم

وفي عودتنا الى (باب المعظم) وجدنا المتجمهرين في الساحة الكبرى المقابلة لقاعة (الملك فيصل) – انذاك – يحملون الشاعر المبدع (السيد محمود الحبوبي) على الاعناق وهو ينشدهم قصائده الوطنية.. يتلوه الشاعر الشاب الناشيء (بدر شاكر السياب) رحمه الله...

وعندما عبرنا (جسر الشهداء لحضور مجالس الفاتحة المقام في محلات (الكرخ) (الشواكة)، (باب السيف) (الصالحية)، (رأس الجسر)، (الشيخ بشار)، (الدوريين)، (الارضروملي)، (الرحمانية)، (الشيخ معروف)، (الجعيفر)، (الست نفيسة)، (السوق الجديد) وغيرها.. كان الشعراء الوطنيون الاحرار يؤججون نيران الغضب بالقاء قصائدهم اللاهبة، اذكر منهم الشاعر الجريء الشاب (عدنان فرهاد) والشاعر الشعبي (عبد المجيد الملا) والشاعر العصامي (جاسم الجبوري) والشاعر المناضل (عدنان الراوي) طيب الله ثراهم وجعل الجنة مثواهم..

واذكر بان الشاعر (بحر العلوم) كان يتجول بين تلك المحافل، وقد استشارته الجماهير بالقاء قصيدته المرتجلة التي كان يرددها بمظاهرات تشييع الشهداء، ولم تستطع الجماهير عند القائها في حينه تسجيل ابياتها الا ما يزيد قليلا على (٤٠ بيتا)..

ومطلعها:

يا وثبة الشعب اخرقي
باللعن (عهد) الاخرق
فعهد (بورتسموت) قيد
لاحتلال مطلق
لاح لك الدرب فسيري
حرة وانطلقي
يا وثبة الشعب احفظي
الصف من التفرق
فوحدة الصف
سلاح الظفر المحقق
ويا ضحايا عهد (بورتسموث(
للخلد اسبقي

وقد كان للاحزاب الوطنية الثلاثة التي كانت قائمة رسميا انذاك، وبينها المشترك، اضافة الى اجماع الرأي لدى (٢٠) نائبا وطنيا من نواب المجلس النيابي على الاحتجاج ثم الاستقالة، التي اعقبتها استقالة رئيس المجلس واستقالة بعض الوزراء وما تمخض عن هذه التطورات المتعاقبة السريعة من نتائج ايجابية لمصلحة الوطن والشعب.

كل هذه المؤثرات وغيرها، كانت لها القوة البالغة الفعالة ايضا على اجبار عاقدي المعاهدة للتراجع.. ثم سقوطهم مع المعاهدة.

ولايفوتني هنا ان اسجل باعتزازي ما كان لوثبة كانون الشعبية تأثير بالغ في انفتاح وعيي سياسيا وبلورة موقفي وطنيا.

كما كانت تشكل – بكل مبرراتها ونتائجها – مرحلة انعطاف فكري بالنسبة لكثير من ابناء جيلي – شباب الاربعينيات، اذ كنت وكنا لا ندرك من هذه المناورات السياسية والمؤامرات الدبلوماسية والمؤتمرات الدولية والمعاهدات الا ظواهرها الخلابة ودعاياتها الكاذبة ودعوات ولائمها المستطابة. فلم اكن ادرك سعة المطامع الاجنبية في منابع (العراق) النفطية، وكنوزه المعدنية وثرواته الزراعية، وطرق مواصلاته البرية، وملاحته النهرية والجوية، إلا حينما انتهت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ / ١٩١٨)، ثم عشنا الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ / ١٩٤٥، عندها ظهرت نوايا واهداف الدول الغربية والشرقية على حقيقتها في استلاب غنائم الشرق والغرب، خاصة البلاد العربية الغنية بخيراتها الوفيرة، بشرية ونطقية وزراعية، حيث بدأت المناورات الدولية تظهر على شكل مؤتمرات (مالطة)، (برلين)، (موسكو)، (باريس)، (سان فرانسيسكو)، (نيويورك).

وقد كان الشرق اهم هذه الميادين التي تعرضت للهب تلك المنافسة السياسية الشرهة بين (الروس) واتباعهم من جهة والمعسكر (الانجلو امريكي) وحلفائه من جهة ثانية ومن الطبيعي ان يكون عراقنا الحبيب، جزءاً مهما من هذا الشرق وهل يخفي على احد اعتبارهم (العراق) حلقة من السلسلة الذهبية، الذي تحرص بريطانيا على ان تجعله (زنارا) تشد به وسطها النحيف.

وكم كنت اصغي الى الحوار السياسي والفكري، الذي يتبادله المثقفون في الندوات الادبية، حول الهموم الوطنية والقيود الاقتصادية التي يشكو منه التجار والحرفيون في الاسواق..

فادركت مدى المطامح الاجنبية وغرابة المؤامرات الاستعمارية التي اجهضت (الثورة العربية الكبرى) عام ١٩١٥، بقيادة المغفور له الملك (حسين) شريف مكة، الذي ذهب ضحية رفضه الاعتراف بوعد (بلفور) فخسر عرشه وبقي منفيا في جزيرة (قبرص) طيلة حياته، ولم يكتف الانكليز بتآمرهم على حريته وحياته، بل تآمروا على ارضه وشعبه وقسموا ارضه العربية الى دويلات ومشايخ وامارات وشردوا الشعب الفلسطيني من ارضه العربية وسمحوا لليهود باقامة دولة صهيونية.

ومنذ صباي – في الثلاثينيات – كنت اشاهد المظاهرات الجماهيرية تطوف شوارع بغداد علها تحمل الحكام، وتثير نخوة الوطنيين الاحرار لصيانة حقوق الشعب العربي الفلسطيني. وبعد سنين عجاف، استيقظ ضمير (البلاط) فاستجاب لتلك المظاهرات الشعبية من اجل تهدئة الغضب الجماهيري فسمح بعقد اجتماع ضم بعض رؤساء الوزارات السابقين والوزراء، وبعض اركان الحكم اضافة الى مجموعة من الشخصيات الوطنية التي تتمتع باحترام الاواسط الشعبية وتقديرها، لاضفاء الصفة الشرعية على الاجتماع، وخلع الصفة الوطنية عليه..

فتمخضت المحاورات الدبلوماسية والمناورات السياسية فولدت – فأرا – سمي (معاهدة بورتسموث)، لتكون بديلا عن المعاهدة السابقة المعقودة عام ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا، في ٣٠ حزيران.

فكان ما كان.. من تضحيات وطنية جسيمة ومظاهرات جماهيرية عارمة في وثبة كانون الخالدة، التي كان شهداؤها الابرار ومناضلوها الاحرار عاملين مؤثرين في اخضاع السلطة الغاشمة على الانصياع لصوت الشعب وارادته بالغاء (معاهدة بورتسموث) الجائرة.

كيف أسسنا مكتبة الخلاني العامة؟

منذ ما يزيد على اربعين عاما. يوم كنا نخبة من الاخوان والاصدقاء، نتفاعل مع احداث الوطن ووقائعه، ونتحسس بما كان يعانيه ابناؤه من الجهل والفقر والمرض، لقد كنا ندرك عن وعي بما قرأناه وبما القى الينا من حقائق الامور التي رواها لنا اهلنا ما خلفته الحرب العالمية الاولى من جوانب التخلف والتأخر في الحياة العراقية.. ثم ادركنا بالحضور والمعايشة ما جلبته الحرب العالمية الثانية من مصائب وويلات لعموم العالم وشعوبه، ممن اشترك مباشرة في الحرب او لم يشترك.

وحين انزاحت عن البشرية المفجوعة باوزار الحرب واثامها.. تلك الغمة المظلمة القائمة، باعلان نهايتها والعودة بالعالم الى السلام، وبالحياة الى غايتها النبيلة الاصيلة في خدمة الانسان، عام ١٩٤٥، قررت تلك النخبة من الاخوان والاصدقاء، ان تقوم بخدمة عامة للمواطنين الاميين الذين لم تسعفهم الظروف للدراسة والتعلم في طفولتهم وصباهم..

وهل اشرف واجل من مهمة ايصال العلم والثقافة الى من بحاجة اليهما من المواطنين، الذين كان عددهم كبيرا جدا يومذاك في بغداد خاصة وارجاء الوطن عامة. وتحولت الفكرة النبيلة الى حيز العمل والتطبيق واستقرت الاراء على ان نستنير باستاذنا العلامة الجليل السيد (محمد الحيدري)، العالم المسؤول عن جامع (الخلاني) وراعيه وامام الصلاة فيه. وكانت العلاقة بيننا وبين السيد الجليل علاقة وثيقة طيبة، اذا قلت انها علاقة اب بابنائه او اخ كبير باخوته فلا اتجاوز الواقع.

ولما قصدناه لعرض الموضوع والتماس حسن التوجيه قال:

ان خدمة العلم ونشره بين الناس عمل مبرر مشكور من الله والناس، وهو فرض يرقى الى مستوى العبادة.

وقد كان هذا الموقف المتجاوب من السيد الحيدري هو المأمول فقد كان متميزا عن اقرانه وزملائه من رجال الشرع الشريف وعلمائه، بمميزاته فريدة نادرة، فقد كان فضلا عن تضلعه في علوم الدين والتفسير والفقه والتاريخ الاسلامي واللغة.. رجلا اجتماعيا يطعي لكل حقه، جم التواضع مع الصغير والكبير، وحين وجدنا مستعدين لمباشرة التدريس وادرك بومضة مشرقة من تفكيره بان المشروع معلق بايجاد المقر الملائم لاستيعاب الدارسين..

خصص لنا غرفة بجوار المصلى لتكون صفا تقام فيه الدروس كل مساء، وكان مقتصرا على تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب.. وثبتت السبورة السوداء على الجدار واكتملت مقومات الدراسة.. وحين شرعنا بنشر دعوتنا بين ابناء حارة (الخلاني) توافد علينا الراغبون في الدرس من مختلف الاعمار ممن لم تسمح لهم اعمالهم اليومية المضنية بتوفير فرصة الدراسة والتعلم لهم والمواظبة في المدارس النهارية. وكان الاقبال شديدا، وتلقى الدارسون دروسهم بشوق ولهفة واصغوا بادب ورغبة، وضاقت الغرفة بالعدد واضطررنا الى لقائهم بوجبات وكنا نحن النخبة قد تقاسمنا العمل بيننا لكل واحد منا اسبوعا كاملا، (ناجي جواد، صالح عباس الحداد، علي حسين ومحمد علي درويش وعبد الحميد المحاري) كنا متعاونين ومتفائلين جدا لنجاح المشروع يدفعنا عاملان قويات للمضي في العمل، اولهما اقبال المواطنين وانتظام مواظبتهم وثانيهما الشعور الوطني الذي يملا قلوبنا..

وكانت في الجامع مكتبة صغيرة هي مجموعة كتب ومصاحف ومصادر تتعلق باختصاصات رجل الدين وممارساته يملكها علامتنا (الحيدري). وذات مساء كنا مجتمعين به لتدارس احوال المشروع وشؤون الدارسين اثار اجتماعنا بفكرة جديدة، عبرت عن رغبته الصادقة وامنيته الكريمة في نشر الثقافة بين الناس وخاصة من كان متعلما او مثقفا منهم عن طريق تأسيس مكتبة ملحقة بالجامع، على ان تكون غرفة التدريس مقرا لادارتها.. معولا في ذلك على همم الشباب، وعلى ما يجود به الخيرين لدنا بالكتب وبالمال..

وانهالت التبرعات كتبا واموالا من كل مكان، من علماء وادباء واساتذة واصحاب مكتبات خاصة وعامة في العراق، يشاركهم في البذل والتبرع المؤلفون والناشرون.

وكانت هذه البداية الرائعة هي بداية تاسيس (مكتبة الخلاني العامة) عام ١٣٦٤ هـ، ١٩٤٥م، نفس السنة التي باشرنا فيها تعليم الاميين..

وتطور المشروع وباركه الخيرون من اجل ان تكون المكتبة منارا لنشر الثقافة وكنزا يضم جواهر المعرفة.

وضاقت الغرفة القديمة (صف التدريس) بالكتب ومجموعها يتزايد يوما بعد يوم، خاصة بعد ان اعلن السيد في ذلك المساء المبارك عن تبرعه بمكتبته النفيسة ذات الكتب القيمة للمشروع الجليل، فما كان من الحاضرين الا الاقتداء والامتثال، ممن كان يملك مكتبة تبرع بها او ببعض كتبها، وممن لم يكن كذلك تبرع بالمال، وممن لم يكن يملك لا هذا ولا ذاك تطوع بالجهد والسعي.

وممن اذكرهم بين اوائل المتبرعين بالكتب السادة (وائل السعدي) وهو يهدي مكتبته الصغيرة في عدد كتبها الكبيرة في مغزاها، والاستاذ (يحيى الباجه جي) وقد هزته الاريحية فيقدم مجموعة طيبة من كتبه، كذلك فعل المحامي (عبد الرزاق الشيخلي) و(الحاج حسين علي المحاري) وغيرهم كثيرون، ثم تسعفنا عائلة المجاهد الكبير والوطني الحر (الحاج محمد جعفر ابو التمن) فتهدي مكتبته ذات الكتب النادرة والمظان الفاخرة، وبهذه الاريحية العالية والتجاوب الكريم، تضاعف نشاطنا وازداد بالخيرين ايماننا، والناس هم الناس، في كل مكان وزمان، تسحرهم الدعوة الخيرة، ويساندون العمل المجدي الذي تعود ثماره لصالح المجموع، اما انا فقد بلغ ايماني بالفكرة وحماسي لتاييده حدا دفعني لتقديم كتبي كلها هدية الى المكتبة، مع جميع ملحقاتها ومكوناتها من منضدة كبيرة للكتابة وخزانة للكتب ودولاب خاص بالبطاقات المكتبية والارشيف، وحين غصت الغرفة الصغيرة باعداد الكتب الكثيرة المنهالة علينا من كل مكان، وقعنا من امرنا في حيرة، وتوالت اجتماعاتنا لدراسة الموقف وحل ازمة الكتب المكدسة!.. وفي مرة من المرات اشار علينا السيد الحيدري باشغال الارض التي تهدمت مكوناتها ولم يبق من معالمها سوى بقايا جدار، وكومة من تراب واحجار..

فدهشنا للاقتراح الضخم، وكادت تقعد بنا همتنا عن تحقيق هذا الامر الذي يكاد يكون في حكم المستحيل، اذ من اين نأتي بالمال لتشييد القاعة والخزائن وسائر مستلزمات المكتبة..؟

ولكنني اعود لنظرتي المتفائلة الى طبيعة الاشياء، واوكد على ما امنت به دوما من ان الروح الخيرة في الانسان، تطغي على الشر، فالانسان اقرب للاصلاح منه للهدم والفضيلة منه للرذيلة، وبهذه الروح المتفائلة لطبيعة الاشياء، عقدنا العزم على اكمال المشروع والسعي من اجله قدما، وفي صباح اليوم الثاني عرضنا طلبنا على المواطن الغيور الاستاذ (صادق البصام) رحمه الله، لنحصل منه على (تخويل) بجسور الحديد من لجنة التموين العليا.

فمنحنا التخويل المطلوب وجمعنا المال لشراء الحديد وبقية المواد الانشائية، وما هي الا بضعة ايم حتى طرحت كلها في ساحة الخلاني وهي تستعطف الايدي الكريمة والسواعد الفتية والقلوب المؤمنة، لتتبرع برفعها عن الارض، ثم تحويلها الى بناء شماخ يضم تراث العلم والادب والفكر..

وهكذا ارتفعت وقامت.. ولكننا حين وجدنا اكثر رفوفها وخزائنها خالية من الكتب عاودنا حملة التبرعات داخلا وخارجا واصبح العدد يتضاعف والاقبال عليها يتنامى حتى اصبحت مقرا للدارسين من كل فئة بما فيهم الدارسين الطامحين لدراسة الماجستير والدكتوراه بما اغنيت به من مصادر ومراجع وكتب قيمة..

وكانت الفرحة الكبرى عندما بلغ عدد الكتب حداً تجاوز الـ (٢٥) الف كتاب، اقام مؤسسها العلامة (الحيدري) معرضا للكتاب في قاعاتها الرحبة عام ١٩٥٠، فتوافد على المكتبة مساء الاحتفال جمهرة كبيرة من المثقفين والعلماء والشعراء والادباء واهل الفضل للمشاركة في الاحتفال، وكان في طليعتهم العلامة الشيخ (محمد رضا الشبيبي) وعميد الحقوق الاستاذ (منير القاضي) والشاعر (محمود الحبوبي) والشاعر (حافظ جميل) والاستاذ (فؤاد عباس) والدكتور (عبد الرزاق محيي الدين).

ويجمل بي ان اوضح عما صاحب مشروعنا هذا من تلكؤ وتعثر. واراني ملزما بشرح هذه الناحية بوضوح، فقد ظهر لي بعد هذه التجربة الرائدة.. ان اخطر ما تتعرض له هذه المشاريع الخيرية العامة هو الاهمال والصدود، وذلك بانطفاء جذوة المتحمسين لتأسيسها، ثم بالاخير انفضاضهم من حولها وعدم مدها بالعون والعناية اللتين تعهدوا بموا صلتها باتجاه انعاش المشروع وادامته.

وهذا ما حدث فعلا لمكتبتنا الفتية، حيث انصرف كل منا لبناء حياته، فشغلته همومه اليومية عن الهموم الاجتماعية، ولم تعد تزور المكتبة الا لماما، ولم نسع اليها حثيثا كما كنا وانطفأت جذوره حماسنا، وتركنا المكتبة واعباءها وخدمتها، على السيد (محمد الحيدري) وحده. ولحلمه الواسع وخلقه الرضي وحسن تقديره لظروفنا، لم ينح باللائمة على احدنا ولم يوجه اليه عتبا، ولم يتخل عن مشروعنا.. فصبر صبر المؤمنين.. حتى كتب لمشروع المكتبة النجاح الشامل.. ولتستقر بهم الخيرين مستودعا للعلم ومعونا للثقافة ومنهلا عذبا يرفد رواده من المطالعين المتطلعين للمعرفة.

عن كتاب الساعاتي
(بغداد سيرة ومسيرة)

الدكتور سعد نجل الاديب الرحالة ناجي جواد الساعاتي:

ناجي جواد الساعاتي كان اديبا بارعا قبل ان يكون مستورد الساعات الاول في العراق

جدي كان اول مصلحا مسلما للساعات في العراق ووالدي اول مستورد لها من بين التجار العراقيين المسلمين

المدى / خاص

في الطريق الى مقابلة الدكتور سعد نجل ناجي جواد الساعاتي مستورد الساعات الاول في العراق بين التجار العراقيين المسلمين،عليك ان تكون مستعدا للوصول الى الموعد المحدد للمقابلة دون اعذار، بسبب ارتباط اسمه بالوقت ودقته،ليس هذا فقط، بل عليك ان تقدم للقارئ كشفا تاريخيا مكثفا يليق بمحطات وانجازات واعمال الساعاتي التاجر والمثقف والاديب، كما يليق في المرحلة التاريخية التي شهدت نمو وازدهار الطبقى الوسطى في العراق التي دمرتها ظروف العراق اللاحقة،،أديب تخصص في كتابة الرحلات، وهي فن ادبي شح سالكوه في تاريخ الثقافة العراقية، مقابلة يمكن ان تراهن عليها للكشف في اعماق ذاكرة عراقية شهدت وساهمت في ارساء زمن تضبطه ساعات الماركات السويسرية التي استوردها ناجي جواد الساعاتي ابان بدايات الاربعينيات من عمر الدولة العراقية وبذور مجتمعها المدني الاولى ،هذا الزمن الذي نحاول ان نستطقه ونكتشف عتمته في ذاكرة الابن الدكتور سعد ناجي الساعاتي بصفته الابن الذي رافق ابيه في مساحة زمنية طويلة من حياة والده الحافلة اولا، وثانيا كونه استاذا للعلوم السياسية لاكثر من ثلاثة عقود في جامعة بغداد يمكنه من خلالها ان يقدر حجم التآكل في زمن البناء المدني الذي جرفته دبابات الانقلابات وجنون العسكر والسياسات الحمقاء،ذاكرة الدكتور سعد حافلة بايقاع زمن عراقي صاخب بالتحولات الثقافية والتجارية في سيرة رمز من رموزهما في العراق .

من قصة عائلة الساعاتي مع الساعات تبدا رحلتنا في ذاكرة الابن النجل الاوسط من اولاد الساعاتي والاديب ناجي جواد وهو الدكتور سعد الساعاتي:

×ما هي قصة عائلتكم مع الساعات؟حتى اصبحت لقبا عائليا زحزح اللقب العشائري الاصلي لكم؟

كان جدي جواد الساعاتي هو البطل الاول في قصتنا مع الساعات،حيث كان يعمل في سوق الساعجية بدايات القرن الماضي،بجوار المستنصرية القديمة، وفي يوم من ايام الحرب العالمية الاولى دخل ضابطا اجنبيا الى محله طالبا منه تصليح ساعته،فقام بتصليحها ومن تلك اللحظة اصبح جدي اول مصلحا من المسلمين للساعات في العراق وعلّم المهنة بعد ذلك الى اخوته محمد حسين و عبد اللطيف، ثم انتقلت المهنه الى الأبناء بل و حتى بعض الأحفاد. ومن ذلك الحين اختفى لقبنا العشائري الذي يعود لقبيلة بني اسد العربية الاصيلة من فخذ المرياتي ليحل محله لقب الساعاتي الذي اشتهر به والدي تاجرا واديبا،ورغم ما درت هذه المهنة من ارباح على عائلتنا، فان والدي ناجي، الذي ولد يتيما، اصرّ على اكمال مشواره التعليمي رغم معارضة اخوته الكبار كاظم و ابراهيم و مهدي، الذين كانوا يطالبونه بالتفرغ الى المهنة وتجارة الساعات،لكنه دخل الى الكتاتيب متاخرا واكمل الصفوف المنتهية للدراستين المتوسطة والثانوية بطريقة الامتحان الخارجي ومن ثم تمكن من الدخول الى كلية الحقوق ليتخرج منها عام ٥٣-٥٤. وكانت والدته واخوه فخري الوحيدين الذين يشجعانه على مواصلة الدراسة.

كان والدي يرى في مهنة الساعاتي،مهنة تتطلب جهدا مضنيا اكثر بكثير من الاجور التي يتقاضاها مصلح الساعات،ولذا مالبث ان تحول من تصليح الساعات الى استيرادها،ويعتبر والدي الأول بين التجار المسلمين العراقيين الذي استورد ماركات الساعات السويسرية، عندما كان يشترك مع أبن عمه و زوج اخته عبد الجبار لطيف في محل تجاري واحد. و سبقه في ذلك تجار يهود ومسيحيين عراقيين،ومنهم التاجر اليهودي سالم عبدو، وآخر لم يحضرني اسمه الاول يلقب بالساعجي، ويعد اولاده اليوم من كبار رجال الأعمال في بريطانيا، حيث أسس هو وأخوه شركة أطلقا عليها (ساعجي و ساعجي) تعتبر الأن من أهم الشركات التجارية في بريطانيا. كما أصبح احد ابناءهم، و لا يزال، لوردا في مجلس العموم البريطاني.

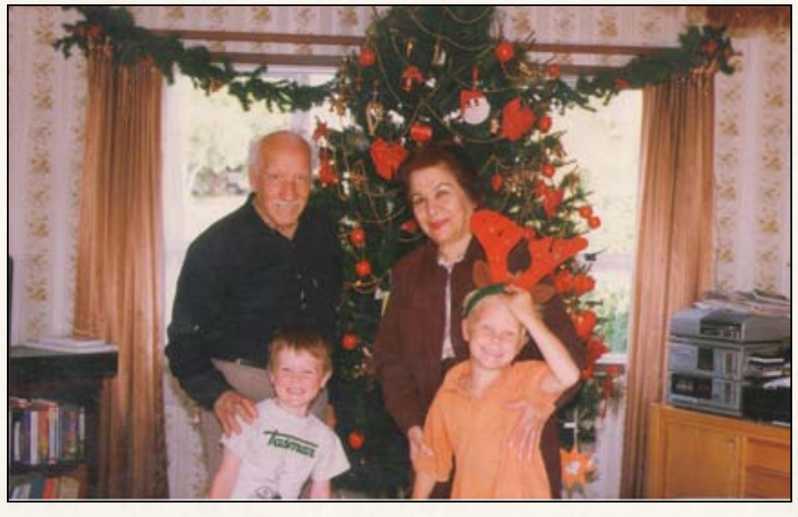

اول محل للساعات في بغداد

افتتح عمي فخري جواد الساعاتي،اول محل للساعات في شارع الرشيد بداية اربعينيات القرن السابق،في عكد النصارى مقابل المكان الذي وقعت فيه محاولة اغتيال الزعيم قاسم عام ٥٩،وازيل المحل فيما بعد بدايات ستينيات القرن السابق،تبعه والدي بعد ذلك في افتتاح محل للساعات بداية عام ١٩٤٢ مشاركة مع ابن عمه كما ذكرنا، ثم استقل في محله الخاص في ساحة حافظ القاضي عام ١٩٤٨، واصبح من اشهر محلات الساعات في بغداد،وكان المحل ملتقى لادباء ومثقفي العراق في ذلك الحين،وانتقل موقع المحل بعدها الى الباب الشرقي عام ١٩٥٦ بداية شارع الرشيد قرب سينما الخيام،واستمر فيه لعام ١٩٦٦ اذ انتقل الى محله الجديد في شارع السعدون في العمارة التي شيدها وحتى الوقت الحاضر تعرف بعمارة ناجي جواد الساعاتي.

الزعيم وعمارة الساعاتي

لتشييد هذه العمارة قصة ذات مغزى حيث بدأ والدي بتشييدها ايام الزعيم قاسم عام ١٩٦٢، وذات مرة لفتت انظار الزعيم بجمالية تصميمها و التقنية الحديثة التي كانت تستخدم في تشييدها (حيث كانت من عشرة طوابق مما عدت اعلى عمارة في بغداد عندما أنجزت)،وترجل قاسم من سيارته ليتفرج على مراحل البناء اكثر من مرة، ولما سأل العمال عن صاحب العمارة وعرف انه والدي،قال لهم اخبروه بانه تاجر وطني،وكان ذلك اشارة من قاسم يغمز بها الى التجار العراقيين الذين يستثمرون اموالهم في بيروت والدول الاجنبية،بينما كان ناجي جواد الساعاتي مصرا على استثمار امواله في بغداد رغم ما تعرض اليه من مضايقات ضريبية وقوانين تعسفية كالتاميم الذي اصدرته حكومة عبدالسلام عارف وتخفيض ايجار الممتلكات العامة وغيرها،ولم يندم قط على هذا الاستثمار حتى في حالات تعرضه للضائقة المالية، هذه العمارة اجرّها والدي فيما بعد الى شركة النفط الوطنية عام ١٩٦٥ بعد اكتمالها بايجار سنوي قدره ١٠٠٠٠ دينار خَفّضته سلطة عبدالسلام عارف الى ٣٥٠٠ دينار بعد قرارات التاميم والتضييق على التجار مما اضطره الى رهن العمارة الى بنك الرافدين،وبعد تاميم قطاع التجارة من قبل سلطة البعث الثانية بعد ٦٨ اصبحت الدولة هي المستورد الوحيد من خلال شركة الاجهزة الدقيقة التابعة لوزارة التجارة.

×كيف جمع ناجي الساعاتي في حياته بين التاجر الاول للساعات في العراق وبين طالب الحقوق واديب الرحلات والمثقف المثابر في نفس الوقت؟

اصرّ ابي على اكمال مشواره الدراسي وهو صاحب اكبر متجر للساعات في بغداد،حيث كان يترك متجره مدير اعماله الوفي فائق الصفار و لعماله الماهرين الذين دربهم على المهنة ويذهب الى الجامعة،وعند حلول الامتحانات النهائية الجامعية كان يترك المحل نهائيا ويقضي اوقاته في متنزه الامانة في منطقة المسبح للمذاكرة مع زملائه في الكلية حتى تنقضي الامتحانات ليعود الى مزاولة اعماله التجارية،استمر الحال هكذا حتى حصوله على شهادة ليسانس الحقوق من جامعة بغداد.

الصحافة والكتاب الاول

في تلك الفترة بدأت اولى محاولاته الادبية ونشاطاته الثقافية، فكان يراسل الصحف والمجلات المحلية، ونشرت مقالاته الاولى في جريدة الهاتف لصاحبها جعفر الخليلي،وجريدة البلاد لصاحبها روفائيل بطي وهو من رواد الصحافة الحديثة في العراق وكان يسكن بجوارنا في منطقة الكرادة الشرقية، وجريدة الأيام لصاحبها عبد القادر البراك. وبعد مرحلة نشر المقالات ظهر له اول كتاب عام ١٩٥٧ بعنوان(رسائل من الهند) وهو عبارة عن رسائل ارسلها الى ابنته الكبرى، يصف فيها احوال الهند وطبيعتها وطباع اهلها. وتاثر في اسلوب الكتاب وصياغته برسائل نهرو الى ابنته انديرا غاندي التي كان يراسلها من السجن، لاقى الكتاب ترحيبا عند صدوره لكونه من المحاولات القليلة في ادب الرحلات في الثقافة العراقية،ولكن لم يمنع ذلك من ظهور اصوات حاسدة ناقدة للكتاب والمؤلف،واذكر ان احدى المجلات العراقية نشرت مقالا نقديا لاذعا في أحد اعدادها آنذاك حول الكتاب للناقد(مهدي القزاز) معتبرا ان الكتاب ليس من تاليف،والدي ولكونه يمتلك اموالا طائلة فانه سخر بعض الكتاب لتاليفه.وبعد فترة على نشر المقال اصيب الناقد القزاز بمرض عضال، فزاره والدي للاطمئنان عليه،وكتب القزاز،و بعد ان توالت اصدار كتب والدي، رسالة اعتذار رقيقة قال فيها ان هذا الرجل اثبت انه اديبا بارعا قبل ان يكون انسانا رائعا و ساعاتيا ناجحا

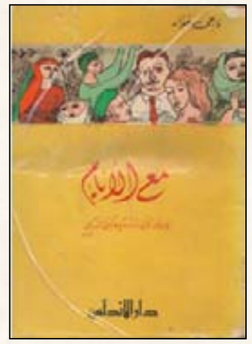

ماركة اولما الشهيرة

عني الساعاتي بتطوير ادواته الثقافية والتاليفية اكثر من تجارته الرائجة لماركة ((اولما)) الشهيرة وهي الساعة الشعبية الاولى في العراق،وتعمد أستيرادها لانها تناسب العامة من الطبقة المتوسطة والفقراء الذين يشكلون اغلبية سكان العراق.

و كان والدي يحرص على كفالة طلبة البعثات ممن ليس لهم كفيل تشجيعا للعلم و المعرفة،وكثيرا ما كان يسدد اقساط كفالتهم في حال عدم عودتهم الى العراق والقسم الأخر كان يسدد اقساطه عن طريق اهله.

حفلة لكادر سعيد افندي

كان ناجي جواد يحرص على استقبال الطلبة العراقيين عند عودتهم من بعثاتهم العلمية ويقيم لهم الحفلات التكريمية، وليس هذا فقط بل كان يدعم مشاريع الثقافة والفن واشتهر في الاوساط الثقافية العراقية باقامته لحفلات التوقيع للمؤلفين العراقيين، واتذكر انه قام باول حفل شرف لكادر فيلم سعيد افندي بعد عرضه الخاص الاول عام ١٩٥٧، وكان الفنان يوسف العاني يحرص على دعوته كضيف شرف في اعماله ومن هنا سادت سمعته الادبية والثقافية على شهرته كتاجر اول للساعات في العراق.

اولى الرحلات

اصدر عام ١٩٥٩ كتابه الثاني ((قصة الوقت))الذي ترجم للغة الانكليزية ونشر في سويسرا،وفيه بحث تاريخي وعلمي لقصة الوقت منذ السومريين حتى ابتكار الساعات الحديثة،ظهر الكتاب بمقدمة مهمة للدكتور العلامة مصطفى جواد،وتوالت بعدها اصداراته الثقافية بين ادب الرحلات والقصص القصيرة التي ظهرت له منها مجموعة باسم (مع الايام)وكتاب في النقد بعنوان (كتب قرأتها)وواصل بعد ذلك كتب رحلاته التي ابتدات برحلته الى الكويت عندما كانت محمية بريطانية في بواكير نهضتها الحديثة زمن الحاكم عبدالله السالم الصباح،ليسافر منها وبدون جواز سفر الى ايران ويتحدث فيها عن مناطق كانت غير معروفة بالنسبة للعراقيين ووصل الى الهند وكان اول رحالة عراقي يصف الهند واحوالها، وغدا كتابه ((رحلة الاندلس)) من اكثر كتبه انتشارا، وكتاب سويسرا خيمة العالم لخص فيه جولاته الكثيرة الى ذلك البلد الذي أحبه كثيرا بعد بغداد، ومن المفارقات فانه رغم علاقته العميقة و القديمة مع هذا البلد الى ان سلطاته رفضت منحة فيزا لزيارته اثناء الحصار الظالم وهذا ما حز في نفسه كثيرا اذ ظل يردد ان علاقة الغرب علاقات مصلحية بحته وليست انسانية. وكان احب الكتب الى نفسه كتاب((بغداد سيرة ومدينة))

◀

الذي طبع في عمان عام ٢٠٠٠. وكان كتاب ((رحلتي الى جزر نيوزلاند)) والذي نشر في حلب- سوريا نهاية عام ٢٠٠٠ أيضا اخر كتب الرحلات و اخر ماكتبه قبل ان يغمض اغماضته الاخيرة في الغربة القاتلة في لندن.

ساعة للملك فيصل الثاني

حين اراد الملك فيصل الثاني التقدم لخطبة الاميرة فاضلة،طلب القصر الملكي من والدي جلب ساعة من الالماس معقولة الثمن واستورد ساعة ثمينة من ماركة(فاشرون) بقيمة ٤٠٠ دينار عراقي وهو مبلغ باهض في ذلك الوقت،وحدث اختلاف حول سعرها ووافق القصر الملكي على الشراء بعد رد وبدل، لانها مرصعة بالالماس ولكن حدوث ثورة ١٤ تموزعطل مشروع زواج الملك وظلت الساعة الثمينة بحوزة العائلة حتى وقتنا الحالي.

منتديات ثقافية

محلات والدي سواء منها من كان في شارع الرشيد او في شارع السعدون، كانت مقرات

وملتقيات للشخصيات الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية و كذلك كانت محلات عمي فخري وعمي عبد ألجبار،اتذكر من الضباط رفعت الحاج سري و ناظم الطبقجلي وطاهر يحيى و شاكر نعمان ومحمد مرهون و الشوك وغيرهم من الضباط المرموقين ومن

السياسيين د. هاشم جواد وزير خارجية قاسم، والمؤرخ د فيصل السامر و حسين جميل، وهؤلاء اصدقاء شخصيون للوالد. ومن شدة حبه للعلم للمعرفة فلقد حرص ان نكمل نحن اولاده و بناته السبعة على تكميل تحصيلنا العلمي. وكان يحرص على ان لانتميز عن اقراننا في الثانوية في مظهر او مصروف رغم ثرائنا وموقعنا المالي و يصر على اكمال مشوار الدراسة الى النهاية والحصول على الشهادات العليا رغم ما تدره تجارة الساعات من ثراء. وفعلا فان اولاد ناجي جواد الساعاتي ،اصبح اثنان منهم من حملة الدكتوراة (شوقي و سعد) في حين ان قيس ورعد و أيام حصلوا على شهادات جامعية وهيفاء و حُلم حصلتا على دبلوم عالي. وكان دائما ما يردد امامنا: ان الربح التجاري الذي يحققه لايفرحه بقدر نجاح اولاده في دراستهم،وانا شخصيا لم احصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية الا ارضاءا لوالدي و رغبته.

×الساعاتي من الادباء العراقيين القلائل الذين كتبوا في ادب الرحلات لكثرة سفراته الى البلدان هل تعتقد انه قدم ادبا متميزا في هذا الجنس الابداعي،وهل نال استحقاقه من النقد والدراسة الادبية؟

نشرت ذات مرة مجلة التراث الشعبي،وللاسف لم اعد اتذكر تاريخ النشر دراسة مفصلة عن ادب الرحلات في كتابات ناجي جواد الساعاتي للاديب(سليم فاضل)، وكم أتمنى أن ألتقيه كي أشكره على جهده، اعتقد انه انصف فيها أدب والدي. وأتذكر انه خلص في دراسته الى ان ناجي جواد الساعاتي ابدع في كتب الرحلات وتميز بسلاسلة الاسلوب والتشويق في عرض افكاره والمتعة في السياحة الجغرافية للاماكن والبلدان التي زارها، وحتى برع في تصوير عادات شعوبها واحوالهم التي كان يشهدها بعين الاديب الحساسة ورؤيته الثاقبة،وكان غالبا ما يعزّز سياحته اللغوية بمعلومات تاريخية عن تلك البلدان والمناطق، ومع ألأسف انا افتقد الآن ملف كان والدي يحتفظ به ويجمع فيه جميع المقالات التي تنشر عنه في الصحف من مقالات نقدية وتعقيبات وردود، وهو لم يستفد من كتبه ماليا وكان من النادر ما يبيع كتبه ويقدمها في الغالب كهدايا لاصدقائه و يكتفي باخذ نسخ منها ويتنازل عن حقوقه المالية لصالح مؤسسات الطبع والنشر،وحتى كان لايتقاضى اجورا عن مقالاته في الصحف او الاذاعة. و أنا أعلم أن عددا من كتبه حقق مبيعات جيدة مثل كتاب قصة الوقت و رحلة الى ألأندلس و بغداد سيرة و مدينة، الا أن المستفيد كان الناشر وليس والدي.

×مالذي كان يجذبه للعودة الى بغداد عقب كل رحلة من مدن العالم الساحرة؟

اغرم والدي بشيئين في حياته حبه لجمال المرأة، و حبه الكبير لبغداد الذي لايعادله حب اخر،وحتى في لحظات موته الاخير توسل الي ان انقله الى بغداد وعندما شرحت له صعوبة ذلك كانت الدموع تنهمر من عينيه.

وكان اتفق مع اربعة من اعيان بغداد ورموزها الثقافية وهم طبيب الاطفال المشهورد. حميد البستاني ود. ضياء النواب واخيه فخري جوادعلى شراء قطع اراضي لتكون مدافن لهم في مقبرة الكرخ ببغداد بدلا من مقابر وادي السلام في النجف الاشرف التي تحتوي مدافن اقربائنا.

(اللقاء اجراه الاستاذ توفيق التميمي ودفعه لهذا الملحق مشكورا)

الموروث الشعبي في مؤلفات الأديب الرحالة الساعاتي

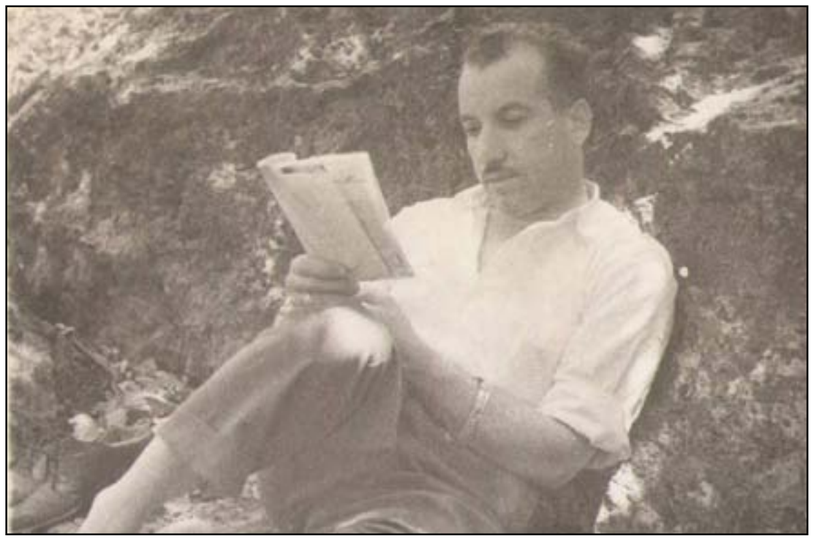

تزخر مؤلفات الرحالة الاستاذ ناجي جواد الساعاتي بتتبع واستقصاء جوانب الموروث الشعبي للشعوب التي يزور ويرحل الى بلدانها ودولها حيث يصور بدقة متناهية القيم والعادات والتقاليد والفنون والآداب والصناعات الشعبية، ويجمع كل ما تتضمنه الحياة الشعبية في جانبيها المادي والنظري، وينقل منها ما يستطيعه للقارئ بأمانة علمية دقيقة لا تشوبها اي شائبة من بالغة او تمويه، ولا يضع على ما تنقله عدسته التي يقطر منها جنانه فوق قلمه على الورق الا التعليق البسيط، او الربط بين قيم وعادات وموروث شعبي قيّم وحديث ومعاصر، ليقدم الصورة بابعادها وداخل الاطار الذي يجعل من يتناولها في موقف المتخيل، ويعيش في الاجواء والمواقف ذاتها ليظل على بينة واضحة.

سليم فاضل

١. هذاالفهم الاصيل للموروث الشعبي عند الرحالة الساعاتي له اصوله العميق سواءً في حياته الشخصية التي عاشها في بيئة شعبية فقيرة من احياء بغداد هي منطقة (صبابيغ الآل) وشبَّ فيها فتياً لينمو وهو يتعرف على واقعه الشعبي، وما يحيط به من حياة تفيض بالضوابط والقيم والمبادئ العريقة الجذور، التليدة في آدابها وموازينها ومعاييرها الاصيلة، وكذلك ما حملته ثقافته الشعبية، ومن هنا نحدد الاسباب الكامنة في اهتماماته وشغفه بالموروث الشعبي الى جملة عوامل هي:

الاول: الواقع الشعبي والبيئة ابتداءً من البيت الى المحلة الى الشارع، وجملة ما يتعارف عنها من قيم وعادات وتعامل يومي فطَن له ناجي جواد، الطفل الذي كان يصحبهُ اخوه الكبير الى محل تصليح الساعات، فقد تركت مشاهداته وملاحظاته اثرها.

الثاني: واقع التعليم في تلك الفترة من عمر العراق، والظروف الاقتصادية التي تحيط بعائلة ناجي جواد الساعاتي التي اتجه الابناء فيها الى طلب المعيشة بصبر وثبات، فلم يتسنَ له التعليم المدرسي المستمر مما حدا به الى الاعتماد على ذاته في طلب العلم في بدايات عمره (المديد ان شاء الله) حتى انه يذكر عادات وتقاليد بيع الكتاب في (سوق السراي) المعروف في فترة حياته الاولى وانصرافه مع اصحابه الى اقتناء الكتب القيمة والثمينة من عربات الباعة المتجولين حتى اتيحت له فرصة التعليم في المدارس المسائية والعمل النهاري.

الثالث: أثر والدته التي احبته حبا متميزاً منذ طفولته، لأنه ولد طفلاً صغيراً يتيماً حرمته الحياة حنان الوالد وعطفه، فكانت الوالدة هي الأم الرؤوم التي تعوضه بما تكنه من محبة صادقة، ولهفة صافية عما يجب ان تقدمه لولدها ناجي، لذلك كانت تصحبه معها في سفراتها الى الاماكن المقدسة في بغداد وكربلاء والنجف وغيرها من المدن العراقية، فولدت عند الطفل ناجي رغبة في الاسفار، والترحال بل أنّه صار يسجل عادات العراقيين في التنقل والزيارات للأئمة والاولياء الصالحين، ويكتب في ذاكرته الواقع الذي شاهده في تلك الفترة.

الرابع: سفراته ورحلاته المنظمة التي توزعت فيها روحه الشغوف الى معظم دول العالم، حتى وجد نفسه الانسان السائح، الذي يضرب عصا الترحال فوق المعمورة، ولا يعود أبياً الى بغداد حتى يتلهف الى سفرة جديدة، فالسفرة عنده نزوع ذاتي للبحث عن الوجود، واكتشاف اسرار اسعادة، والتي لم يجدها الاّ في التطواف بين الشعوب وهو يكتب ويصور موروثهم الشعبي.

الخامس: ثقافة الاديب ناجي جواد، حتى بعد تخصصه في المحاماة ودراسة القانون التي جعلت من نفسه محطات طويلة للسفر والتطواف في الحياة الشعبية للناس والعيش معهم، فقد ظلت ثقافته المنهجية ذاتية، نضجت مع محبته لتكوين علاقات حميمة مع مجموعات كبيرة من الادباء والمثقفين والشعراء، كان لهم الاثر البليغ في مسار ادبه وثقافته وتحديدها.

السادس: حرفته في تصليح الساعات، والمتاجرة فيها التي لم تبعده عن حياة السوق والتعامل اليومي مع الناس، وعدم الانقطاع عنهم، وقد استفاد من هذه الحرفة الشعبية فضلاً عن امور الاحتكاك المباشر مع الآخرين، انه تعلم الدقة والمثابرة والاصرار حيث تعلمها من عمله الدؤوب في تصليح الساعات، وحقق الاستفادة من التجارة في اكتساب المهارة، وسرعة البديهة، وحسن الالتقاط لما يكتبه ويسجله مما يريد من الموروث الشعبي للدول والبلدان التي طافَ فيها. تلك العوامل التي نجدها في مؤلفاته جميعا(××)، وفي كتب الرحلات، وسوف نقف على تلك العوامل وآثارها في تسجيله للموروث الشعبي، ودراستنا له هنا.

طفولة وحياة بغدادية شعبية

١.رحلة العمر: يعتبر ناجي الساعاتي رحلاته متكاملة مع حياته الاولى، وجميعها متلازمة، وآثارها متلاحمة متشابكة، وقد وصفها في مؤلفاته، من ذلك تصويره الحياة بغداد الشعبية ولياليها، ذكَرَ ذلك في كتابه (قصة الوقت، ص٧): «وهكذا اضحى جميع افراد اسرتنا يتقنون فن اصلاح الساعات بحكم التقاليد الموروثة، وانتهاج مهن ابائهم، والذي لم أنسَهُ منذ طفولتي، وذكريات الطفولة عذبة مهما كانت معذبة- هو انني كنت اسهر ليالي بغداد الشتائية، لاسيما ليالي رمضان، التي اعتاد افراد الاسرة ان يجتمعوا خلالها في غرفة واحدة حتى وقت متأخر من الليل لأستمتع في فترات الاستراحة من تلك الليالي بما كان يرويه عمي واخوتي من احاديث وقصص عن ألف ليلة وليلة، ومجنون ليلى وابي زيد الهلالي ومغامرات عنتر».

وكنت ارتقب حديثهم بشوق وتطلع وكم كنت اتمنى ان تبقى تلك الاحاديث موصولة الحلقات..»الخ(١)

٢.العائلة والمهنة واسرارها: طموح عظيم كان يشد الاديب الرحالة الساعاتي الى الحياة العلمية والعملية وعدم البقاء على ما تبغيه العائلة بتربية ابنائها على مهنة تصليح الساعات كحرفة

◄

متوارثة، كتب لأبنته هيفاء من الهند عادات شعوبها قائلا: «اليوم طلعت الى جبال الهملايا لأزور مصيف مسوري، ولأحقق حلماً طالما راودني، وأنا اقبع في محلي في بغداد الحبيبة، يدفعني لذلك حب الاطلاع على ما يمكنني الاطلاع عليه من معالم العالم العجيبة».

ولعلّ حب الاستطلاع هذا كان من الدوافع المهمة لمضاعفة كفاحي في المهنة والصبر على متاعبها». (٢)

ولقد كانت من عادات العوائل البغدادية تعليم ابنائها الاختصاص بالمهنة التي توارثوا عليها، وهذا ما نجده قائماً حتى اليوم في الالقاب التي تتسمى بها العوائل البغدادية بخاصة، والعراقية بعامة، ومنها لقب عائلة الساعاتي الذي يلقب به ناجي جواد الرحالة، وكذلك اولاده، بينما يعود نسبه الى قبيلة الاسدي العربية العريقة، ولكنها عادات متوارثة، وتقاليد شعبية اصبحت ضربا من ضروب المبادئ، يسجل قائلا:.. فأنا حينما كنت ألاحظ عمي واخوتي الذين كانت العدسات المكبرة تلتصق باجفانهم فتترك عيونهم ذابلة متعبة واجسامهم مكدودة خائرة، وحين كنت ارى بعيني كيف يتحطم ذلك الصبر الطويل والاجهاد امام تلك الطاولة ثم أجد هذه الجهود تقابَل من الزبائن بالتجاهل والجحود(٣)... وتعلم حرفة تصليح الساعات واحدوب ظهره مع عائلته الساعاتية ايضا، ولكنه ذلك المحب الزاهد الذي احب وتطلع، ومع زهده في الدنيا فقد اصبح تاجراً في الساعات، وصار يكتب عن الوقت.. ولكنه ينطلق من بغداد بحياتها الشعبية، فقد كتب عن الساعات البغدادية القديمة، واشهر الساعاتية البغداديين ويحكي قصة (ساعة المعرض) التي فرغ الساعاتي عبدالرزاق محسوب من انشائها عام ١٩٣٣م، ويذكر انه قد اقام لها هذا الساعاتي برجاً في جانب من معمله الكائن في الأعظمية عام ١٩٣٠.

ويكتب ايضا عن ساعة الكاظمين التي اوقفها للحضرة الكاظمية المرحوم (فرهاد ميرزا) عام ١٣٠٠هـ، وانّ الوقت الذي استغرق فيها بناء برجها اربع سنوات في ذلك الوقت، وكذلك ساعة الحضرة الكيلانية التي شيدها المرحوم السيد عبدالرحمن النقيب عام ١٣١٩هـ. (٤)

٣.من السوق الشعبي البغدادي، وما يجد فيه من مهنيين وحرفيين، يكتب الساعاتي عنهم في ثلاثينات هذاالقرن، ويقول: «وكان معي في السوق القديم بضعة اصدقاء يبذلون الجهد الجهيد، ليستقطروا الرزق الشريف من كدّهم بايديهم، سداً لبعض حاجاتهم الضرورية.. فاذا ما اعلنت ساعة المساء الخامسة غادرنا السوق... فهذا يودع عمه الرفاء، وذلك يستأذن استاذه الخياط، وآخر يلتمس جده الكبابجي، فيتجه طلاب الابتدائية الى المدرسة الجعفرية ويذهب الى مدرسة التفيض مَن كان في المرحلة الثانوية...

وكانت طبيعة السوق القديم، وضيق طريقه وتناظر دكاكينه الصغيرة وتلاصقها جنبا الى جنب، مما يوطد روابط الألفة والمودة بيننا، فلا نكاد نفترق الا لنلتقي، ونتحدث بعضنا لبعض حديث المتطلع المشوق للاخبار والاحداث.. وكنا اذا ذهب الاسطة للقيلولة شعرنا بانطلاق حريتنا واندفعنا للقاء نجتر الحديث عن احداث الحرب الثانية، وحوادثها المفجعة»(٥). وقد صوّرَ الاسواق الشعبية، ومنها بعض الدكاكين المتجولة على الحمير في مدن الاندلس الاوربية الحديثة، والى البيوت والدكاكين في مدينة طليطلة العربية.

٤.وفي رحلات الساعاتي، يستذكر ما تقوله جدته من امثال شعبية لاسيما في محنة التعرض للاحداث، ففي سفرته للجزائر، يستمع الى قولها في أذنه «ياغالفين ألكُم الله»، وهذا المثل الشعبي يصاحبه في كل الاوقات وهو عنده كل الايمان». (٦)

ومصاحبة الرحالة الساعاتي لعادات وتقاليد أمه وجدته تظل معه دائما في رحلته الى المغرب وزياراته الى المساجد والمزارات والاولياء الصالحين وتسجيل عادات وتقاليد شعبية عربية في هذا البلد (أقرأ المزيد عن ذلك في مجلة التراث الشعبي العدد الثاني ٢٠٠٧ وكما أورده الكاتب سليم فاضل من تفاصيل لم نذكرها هنا. (الموروث).

٥.والخيال الشعبي للرحالة الساعاتي يقف من بين اوائل الدوافع في سفراته وسياحاته في معرفة الموروث الشعبي عند شعوب العالم، وهذا الخيال يعود الى الطفولة الشاعرية الملهمة بالحس الشعبي الذي عرفه التاريخ عن شعب بغداد العريقة الزاخرة بتراثها الشعبية، وثقافتها وفنونها القومية الاصيلة.

في رحلته الى الاندلس وزيارته لأشبيلية كتب: «كانت أمنيتي لزيارة اشبيلية حلما يداعب خيالي، وكان بدء تعشقي لها يمت لأيام صباي حين تفتّحَ قلبي الساذج لنور الحب وبهاء الجمال.. عندما كنا وصحبة طيبة من الاخوان، وباقة عطرة من الخلان نصغي لأنغام موسيقى شهرزاد وحلاق اشبيلية لنحلق مع انغامها السحرية وننتشي بموسيقاها العلوية اذ عرف الموسيقار (روسيني) اللامع كيف يمزج بين ماضي اشبيلية العربية وحاضرها الاوربي، فقدم (كوكتيلاً) شرقيا غربيا». (٧)

٦- تصوير الاكلات الشعبية البغدادية في طفولته، والجلوس على المائدة وفقاً لقوانين العائلة المتعارف عليها في تقاليدنا الشعبية، ويذكر أكلات الاطفال المفضلة منها «السموسة» التي شغلته في طفولته عن البحث عن أمه التي ضاع من بين يدها في الزحمة في احدى سفرتيهما.(٨)

وقد صوّرَ الاكلات الشعبية، وعادات الطعام لدى الشعوب منها عادات الشعوب الهندية، والعربية في الشمال الافريقي من بلاد المغرب العربي.

٧- والسفر حاجة نفسية، ورغبة ملحة تدفع الساعاتي الى التطواف كما تشده حبال الانتباه الى الموروث الشعبي في البلدان التي يزورها، فيسجلها بدقة وامانة، ولابد من التأكيد هنا، الى انه كان يقصد الذهاب اليها قصداً، ويعتني بها ليكتب وصفها في دفتر مذكراته، ويقوم بتصوير بعضها بعدسة آلة (الكاميرا).

وولع الترحال قد ترسخ في ذات ناجي الساعاتي الاديب في طفولته من لدن امه التي كتب عنها من بين ماكتب عنها حين كانت تأخذه الى العتبات المقدسة «ان ولعي بالسفر اشرق منذ طفولتي، وقد تلونت بألوانه السحرية ذاكرتي يوم ترملت امي، فوجدت في استجارتها بالعتبات المقدسة خير مجير لقلبها الكليم، وقلب طفلها الصغير اليتيم..

«ولن أنسى أنّ أمي الحنون كانت –لعجزها المالي– تشير عليّ بأن أندس تحت كرسي حافلة القطار لأختفي عن أعين الجباة.. وكم كانت هذه المجازفة تروعني، فأحس بالخوف والرهبة، ولكنني كنت سرعان ما اشعر بالاطمئنان والأمان يملأن عليّ قلبي ونفسي وفكري جميعا عندما كانت أمي تسدل عليّ طرفي عباءتها السوداء». (٩)

٨- ومن بغداد والى (بغداد) يكون تطواف الرحالة الساعاتي وجولاته، مما يجعله يقارن ما يلمسه من موروث شعبي عربي بما يجده في بغداد من قيم واصول ومبادئ وآداب وظواهر مادية وثقافية في موروثها الشعبي واصوله التليدة.

ولسوق السراي المشهور في بغداد ببيع الكتب القديمة والمعاصرة، وما تدور فيه من طرائف ونوادر الباعة ومقتني الكتب والمؤلفات والمخطوطات النفيسة والنادرة، ذاكرة يعيها الرحالة ناجي جواد الساعاتي في كل بلد عربي او دولة أجنبية، كما يذكر عادات القراءة والمطالعة السائدة عند الشباب العراقي في عقد الثلاثينيات والاربعينيات والخمسينيات من هذا القرن، وكذلك ولعهم بالصحافة الشعبية (حبزبوز) ومقالات فهمي المدرس وابراهيم صالح شكر وغيرها من آداب المغلوطي وجبران والريحاني وآل معلوف واحمد حسن الزيات، ومجلة الكرخ البغدادية، و (الهاتف) النجفية، والرسالة المصرية، والاديب اللبنانية، وتستوهبهم ايضا الاغاني الشعبية المشهورة منها اغنية قصيدة المجرشة التي كان يغنيها الملا عبود الكرخي.

الموروث الشعبي في أدب الرحلة

تعتبر دراسة الموروث الشعبي في ادب الرحلات من مؤلفات وكتب الرحلة عند مؤلفها ورحالتها الساعاتي احد الجوانب المشرقة فيها، ذلك لأنه قصد هذه الدراسة قصدا، حيث تتبع اسس هذه الموروثات الشعبية، وقام بتصويرها بأمانة، ورمى نحوها بوافر من العمل الفكري والثقافة، ولو اننا نؤكد قبل دراسة الجوانب المهمة من هذا الموروث الحقائق الاكيدة الآتية:

•الاولى: مع ان الاديب الرحالة الساعاتي عُني بدراسة وتتبع الموروث الشعبي في كل بلاد او دولة يزورها الاّ انّ مؤلفاته تلك تدخل في ادب الرحلات بصورة عامة، وفي بعض محطاتها وقوف عند الموروث الشعبي فيها في جوانبه الفكرية والمادية والفنية الشعبية.

•الثانية: في تلك المؤلفات عرض للموروثات الشعبية فقط، وتلميح بمقارنة مع الموروث الشعبي في العراق وبغداد مدينة غنية بموروثاتها الشعبية، واساس للتوازن الموحد للموروث الشعبي العربي، وهذا ما يمكن تتبعه في ما كتبه الاديب الساعاتي في رحلاته للبلاد العربية او الى الاندلس ذات التراث الحضاري العربي الاصيل.

ومن هنا ايضا يتحدد منهجنا في عرض وتبسيط اسساً منهجية تتواءم ونظراتهم كما فعل ذلك الاستاذ صبري حمادي في دراسته المعتقدات الشعبية في كتاب مروج الذهب للمسعودي.

ولقد اصدر المركز الفولكلوري العراقي – وزارة الثقافة والاعلام كتاب المعجم المفهرس للموروث الشعبي في آثار الجاحظ حيث اعتمد هذا المعجم المفصل رصد ومسح العناصر (الفلكلورية) في مؤلفات الجاحظ (١٨). وبذلك جعل تقديم المادة المعروضة ميسرة سهلة، ومفيدة التناول. وعليه فاننا سوف نعرض ما ورد في المؤلفات التي ذكرناها في الهامش، وما يتعلق منها بالرحلات، ونبتعد عن الاسفاف، والاسهاب، بحيث نوجز، ولابد من التأكيد- مرة اخرى- على ضرورة ان نعتبر كتب الرحلات بعامة، ومنها كتب رحلات الساعاتي، الاديب الرحالة المعاصر، انها لا تختص بالموروث الشعبي لذاته، وانما تشكل مادته جزءاً اساسياً من ثقافة وموروث الشعوب التي يقصدها.. (أقرأ تفاصيل ما تناوله الكاتب سليم فاضل في مجلة التراث الشعبي. العدد الثاني ٢٠٠٧ عن عادات وتقاليد دول المغرب العربي والهند مما لم نشر اليه هنا. (الموروث).

الاسواق الشعبية

•في بغداد الاسواق الشعبية، والباعة المتجولون، كانوا قديما من العلامات المميزة لموروثها الشعبي التليد، يذكر الرحالة ناجي جواد الساعاتي: ان (الحاج جودي العطار) كان ينتظرنا بصبر عجيب لننقده (الأنة)، ويسلمنا الخيط والطيارة، فنمتع عيوننا بالوانها الزاهية، واشكالها الهندسية البديعة، ونأخذها مستبشرين فرحين. «(رسائل الهند – ص١٦ و ص١٧).

•وتنتشر في تونس، (رحلته اليها ص٥٨)/ الاسواق الشعبية التي ظلت تحتفظ بهياكلها واشكالها، كما ذكرها العبدري في رحلته الى تونس عام ١٢٨٩م)، ويورد الساعاتي النص.

•الاسواق الشعبية ذاتها في المغرب ومراكش، وبخاصة سوق مراكش المواجه لجامع الفنا، وهو من الاسواق الشعبية/ (رحلته الى المغرب ص٨٩)/. وكذلك الجزائر/ (رحلته اليها ص ١٠٩).

وفي الاندلس تلك الاسواق الشعبية، وفيها بعض العطارين المتجولين على الحمير/ (ص٤٤)، يقول في رحلته:» شاهدت دكانا على ظهره مصنوعات فخارية بصورة عفوية غير نظامية يختار منها السواح ما يبتاعونه كقطع تذكارية، فالتقطت صورة خاطفة، واسرعت احث الخطى في الازقة الضيقة لاندمج مع رفقاء سفرتي، فقادنا المرشد الى دار شرقية رائعة شعرت وانا اتوسط باحتها المربعة المكشوفة، وكأني في دار من دور بغداد العريقة القديمة».

•وللمقاهي الشعبية عاداتها عند الجزائريين والليبيين والتونسيين والمغاربة وهي عادات عربية واحدة، تؤكد وحدة الموروث الشعبي الاصيل. (رحلاته الى الجزائر ص٦٠- الى المغرب ص٦٢- الى تونس ص٣٧).

•والمحلات العربية الشعبية موحدة الطراز، ضيقة الازقة في عموم المدن العربية، وكذلك في الاندلس، وتتميز عمارتها بالزخارف والنقوش الشعبية، راجع رحلاته (الى الاندلس ص٤٤، الى الجزائر ص١٠، والمغرب ص٥٧».

•ومن الصناعات الشعبية في الجزائر، وهي من المنتوجات اليدوية «الفخاريات، والقاشان، والنحت والتخريم والتطريز، والمصنوعات الجلدية، والنحاسيات والمنسوجات المختلفة كالسجاد، والبسط المصنوعة من شعر الماعز والصوف، وكذلك مصنوعات خيوط النخيل، او قشر نبات الحلفا والقصب من سلال وأوان واطباق» (الى الجزائر ص١١٤).

ومن الصناعات الشعبية التونسية في مدينة نابل، (رحلته ص٧٧)/ ما قاله الساعاتي عنها حينما «وصلنا مدينة نابل التي تشتهر بصناعتها الفخارية اليدوية، كالجرار الصغيرة، والقلُل الكبيرة، والفازات والاواني والمزهريات واكواب الماء، حتى اقداح الشاي، وتصنع الواح الكاشاني باشكاله وزخرفته الشرقية».. وانظر الصناعات الشعبية في (رحلته الى الجزائر ص١١٨)، وما بعدها...

•والمطاعم الشعبية المنتشرة في هذه الاسواق، تجد لها اوصافا رائعة في رحلاته.

•والفنون الشعبية من فن النحت، والتخريم والتطريز، والتحنيط، ويوردها الساعاتي في مؤلفاته في ذكر الفن الشعبي في الجزائر ص١١٦، وتونس ص٧٢، وليبيا ص٢٢، والمغرب ص٧٥، ويؤكد ايضاً أنّ الجزائر تشتهر بالرسوم الشعبية، واللوحات الزيتية التي تمثل الحياة الجزائرية/ (ص١٠٤).

•والاغاني الشعبية، وما موجود من مأثور في الاغنية الشعبية يسجلها الرحالة الساعاتي بشكل مقتضب ويحضر بعضها كما حضر للمغنية التونسية (عُلية)، وكذلك يتضمن ذكرها، ايضا ذكر الموسيقى الشعبية وادواتها، وصناعة الآلات الموسيقية الشعبية، واماكن تصنيعها، (راجع صناعات الآلات الموسيقية في رحلته الى تونس ٣٩).

•والرقص الشعبي من جوانب الموروث الشعبي، وهنالك رقصات شعبية مميزة لكل بلد عربي او اجنبي، حتى تتميز رقصات شعبية بين مدينة واخرى. ويذكر الساعاتي ان اهتمام حكومات البلدان والدول بالموروث الشعبي جعلها تهتم بهذا الجانب المهم وتؤسس فرقا للرقص الشعبي، كما صارت تبني المتاحف الخاصة بالتراث الشعبي لتجمع فيه موروثها الشعبي الذي يبرز شخصيتها، ويصقل هويتها، ويميز ابناءها، ويكسب اجيالها صدق الانتماء القومي. في المغرب تشتهر رقصة (الشطيح) ويطلق على الراقصة (الشطاحة)، وفي اثناء الحفلات ترقص الفتيات على دقات الطبول، فيصفق لها الرجال، ويرددون «اشطحي يا حلوة إشطحي» (رحلة الى المغرب ص٩٢).

•وفي الجزائرتشتهر الأغاني الشعبية والموشحات الاندلسية / (ص١٠٢).

. وفي الاندلس تشتهر برقصات الفلامنكو الشهيرة (في رحلته الى الاندلس ص١٢٦ وما بعدها) وصف رائع لهذه الرقصات ومراسمها.

•ومن العادات الشعبية في الاندلس، مصارعة الثيران/ (رحلته ص٣٠) يقول الساعاتي عنها: «المصارعة ليست رياضة تهز المشاعر للشعب الاسباني فحسب، بل اضحت لها تأثير على عقليته، فلا يأخذك العجب اذا ما علمت ان اخبار المصارعة والمصارعين تشغل صفحات من المجلات والصحف اليومية والاسبوعية الاسبانية، كما تزين اغلفة بعضها بصور المصارعين ووقفاتهم البطولية اما الصور، وفي ثيابهم المزركشة بالخيوط الذهبية، وألوانها الزاهية، وفي الكثير من الصحف والمجلات باب خاص للثيران..!!

•المتاحف القومية للموروث الشعبي اصبحت بمثابة التوثيق للتراث الشعبي لشعوب البلدان والدول حيث قامت الحكومات بحفظها في قاعات هذه المتاحف، وتقسيمها، كما في (المتحف القومي في تونس) الذي يحفل بالموروث الشعبي التونسي قديمه وحديثه، وفيه شروحات مطولة – (راجع الرحلة ص٣٦ وما بعدها).

•وفي متحف طرابلس جانب مخصص للموروث الشعبي، ولكنه فقير جدا. (ص٤٧) من الرحلة.

وكذلك في الجزائر، والمغرب والاندلس.

•والمغني الشعبي المنولوجست، والشبيه بالمغني الجوال، من الموروث الغنائي الشعبي، (الرحلة الى ليبيا ص٨١)، و (تونس ص٤١) و (رحلته الى الاندلس ص١٢٨).

•والجوامع والمساجد وبيوت العلم، من الموروث الشعبي العربي القديم في اقطار المغرب العربي، منها جامع القيروان في تونس (الرحلة ص٨٤)/ وفي ليبيا على الطريقة السنوسية (الرحلة ص ٣٤ وما بعدها)، وفي مدن الجزائر عادات وتقاليد شعبية للزيارات والتبرك عند الاولياء الصالحين والأئمة.. (رحلته الى الجزائر ص٥٨).

•عادات التعليم والتعريب في اقطار المغرب العربي اصبحت جزءًا من الموروث الشعبي، القديم منها، وهي تذكّر ابناء هذه الاقطار بأهمية طلب العلم، والتقدم الحضاري.

هذه الخطرات فيض من فيض، اودعها الاديب الرحالة الساعاتي في مؤلفاته، ولقد ظلت هذه الجوانب فيها بكراً، حاولت الخوض الموجز فيها ماوسعتني طاقتي لأقدم شيئاً يسيراً منه للقارئ، ذلك لأن هذا الاديب الرحالة مولع بالاسفار والتطواف، والشغف بالانسان في كل مكان، ولعل ما ذكره لزوجته (سعاد عبدالنافع) رفيقة سفراته بعد انتهاء (رحلة المغرب ص٩٢ و ٩٣). وهي تستغرب هيامه، وشروده الذهني بقوله: «أجدني يا عزيزتي في نشوة روحية لا تعادلها نشوة شاب الكاس من إبريق جارية عباسية، هي نشوة الاسفار وجمال الكون يضفيه عليهما حب الانسان لأخيه الانسان، فدعيني ابحر في عالم الجمال..».

ناجي جواد الساعاتي بين التجارة والادب

لا اضيف شيئا جديدا، حينما اريد الحديث عن الرحالة الساعاتي ناجي جواد. والساعاتي ناجي، حقق حلم والده، حينما حرص على الحفاظ على التراث العائلي، واصبح (مصلح) ساعات شانه شان اخوته وعمه، واخذ يجمع الساعات النادرة منها في داره الخاصة، ثم اهداها الى المتحف البغدادي وجمعت في قاعة خاصة في المتحف، واثمنها واندرها ساعة كان يحملها (الملك فيصل الاول) جيبية ذهبية. والرحالة الساعاتي عاش حياتين متناقضتين، لا تمت الواحدة للاخرى بصلة، فالحياة الاولى عاشها مع زبائن (الساعات) وتجارها والصفقات التجارية.

حوار: عبد الله اللامي

والحياة الاخرى التي عاشها هي العلم والمعرفة ورحاب الجامعة والمحاضرات والامتحانات، وطربه الشديد والمتزايد لشعر الجاهلية وعشقه لادب (الزيات طه والعقاد وجبران والمنفلوطي ونعيمة) والتي كانت تمتد منذ الثلاثينيات وكان اصغر اخوته الاربعة.

وقد اقتنى مجموعة من الكتب النادرة وكان اعزها (ديوان عمر الخيام) ترجمة الشاعر احمد الصافي، وحينما نمت شخصيته التجارية، واصبح له محل في شارع الرشيد وتبلورت ميوله الادبية، فنشرت له بعض الصحف والمجلات، مقالات ادبية وقصصا قصيرة، وكان اغلب ما نشر له في (مجلة الهاتف) و(جريدة البلاد)، وقد توطدت علاقته باصحاب المكتبات من ابناء جيله الشباب مثل (علي الخافاني) و(قاسم محمد الرجب).

وقد ساهم في تأسيس مكتبة عامة في (جامع الخلاني) والتي خصص لها غرفة متواضعة بجوار المصلى، لتكون مقرا لادارة المكتبة، التي اتخذوها كصف لتدريس الاميين من العمال والكسبة، واضحت المكتبة بخزانتها التي تضم حوالي ٣٠ / الف كتاب من امهات الكتب والمظان والمراجع.

وقد اختص بادب الرحلات فمنذ خمسين عاما، وما يزال لا يستطيع ان يستقر سنة واحدة دون سفر، ليس سفرا من اجل التجارة ولا للراحة والاستجمام كما جرت العادة، انما من اجل الادب والتاليف.

زار العديد من الدول وكتب عنها ومنها (رسائل من الهند) و(من ادب الرحلات) و(قصة الوقت) و(رحلة الى الاندلس) و(مع الايام) و(رحلة الى افريقيا) وغيرها من الكتب الادبية والثقافية.

والساعاتي ناجي الذي ولد عام ١٩٢٢ في ازقة بغداد الضيقة الطيبة والجميلة، لا يفكر بشيء غير السفر والكتابة، واحيانا قليلة في مهنته التي يعمل بها منذ خمسين عاما تقريبا.

عندما كان منذ خمسين عام تقريبا، عندما كان عمره لايزيد عن (١٥) عاما ينظر الى مهنته، نظرة تختلف كثيرا عما ينظر اليها الاخرون فهو يحضر معارضها التي تقام سنويا في سويسرا ويتابع اخبارها وتطورها.. وتحولت تدريجيا من مهنة الى فن يتمتع به ويتذوقه.

وكان كتابه (قصة الوقت) اول كتاب عربي يتناول موضوع الساعة من زواياً كثيرة، ادبية وفلسفية ورياضية ويتابع تطورها في الشكل منذ نماذجها الاولى قبل عدة قرون، وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية لتفرده واهميته.

ويتحدث بفخر عن كتاب عالميين مشهورين اشتغلوا او حاولوا الاشتغال في بيع وتصليح الساعات، (فولتير) مثلا حاول ان يفتح معملا للساعات في سويسرا، بعد ان طرد من فرنسا، و (جان جاك روسو) ظل زمنا طويلا يعمل اغلفة ساعات في جنيف قبل ان يصبح كاتبا مشهوراً.

وله في كل بلد من المشرق والمغرب اصدقاء يكتب عن بلدانهم من خلال مشاعرهم الذاتية، عن كل ما يعكس صورتك البلدان عبر ذاته، فهو يتكلم عن الرحلات وكانه جزء من اماكنها يمزج نفسه باحداثها، فيقف امام الاثار ومظاهر الطبيعة من خلال عرض لملامحها التاريخية وطوافه الهادئ في رحاب تلك المعالم والاثار.

× وحينما تساله عن احب صنعة الى قلبه التجارة ام الادب فيجيبك؟

– طموحي الاول كان يهدف بالدرجة الاولى لان اصبح اديبا، هذا على الرغم من ان عائلتي كلها تخصصت بالتجارة والزراعة ولكن ما دفعني الى التجارة مع بقاء تعلقي بالادب هو اعتقادي بان الاديب او الفنان يجب ان يغذي كيانه المادي لكي يتجنب طلب المساعدة من الاخرين، اي ليكون له مصدر عون يقيه من الشعور بالضعف، فيكون اكثر حرية في خلقه وابداعه وهنا يحضرني قول القائل:

اتجنب ذل السؤال ومنة البخلاء
× وكيف وفقت بين الاثنين؟

يجيبني الساعاتي:

– التنظيم في الوقت والعمل، وليس اي شيء اخر، لقد اكملت دراستي في الحقوق، وانا اعمل في التجارة، ولا شك ان التنظيم والمثابرة، يؤديان الى النجاح، وكان جيلنا اوفر حظا من جيل اليوم، عايشت جيل طه حسين والمنفلوطي وجبران وشعراء المهجر وتاثرت بهؤلاء ايما تاثير، ولا انكر فضل ادب الرحلات لابن بطوطة، وابن خلدون لكن اسلوبي تأر بادباء النصف الاول من هذا القرن وادباء مطلعه.

× واساله هل من مقارنة بين الخوف والرهبة لرحلاتك؟

– لا اظن ان ادباء الرحلات كانوا يخشونها، واعتقد ان سر رغبتي في السفر، هو حب الاستطلاع والكتابة وحبي للناس على اختلاف الاجناس من دين ولون او قومية، وكذلك حبي الى التجارة مع بقاء تعلقي بالادب هو اعتقادي والحقيقة انني امام كل رحلة اشعر بالرهبة، وهذه اعزوها الى انني وعيت الحياة، وكان ابي قد توفاه الله، فاحتضنتني امي، واعتقد ان تعلقي الشديد بالام والبيت والوطن ترك في نفسي الخوف من البعد عن هذه الاماكن، ولو كان ابي لساعدني على الاقدام والشجاعة وكنت اقاوم نفسي من الرهبة في اسفاري بالتعرف على الناس، كما فعلت في رحلتي الى الهند التي امتدت ثلاثة اشهر.

× هل الرحلة الى الهند اثرت في نفسك؟

يقول:

– لا.. رحلتي الى الاندلس اعتز بها كل الاعتزاز، لانها تضم عبرا تاريخية وصورا من الامجاد لا تغيب عن اي مثقف، فبلاد الاندلس بامجادها القديمة مليئة بالاثار العربية على الصعيدين العمراني والثقافي، وفيها من العبر التاريخية ما يريك مختلف حالات النهضة والانحطاط التي مر بها العرب.

× وماذا تقول عن مجموعة قصصك (مع الايام)؟

– هذه المجموعة القصصية صدرت عن دار الاندلس سنة ١٩٦٧ في بيروت، وهي تجربة لا علاقة لها بادب الرحلات، ولكني شعرت بعدها بانني لا املك المقدرة الكافية لاكون قاصا مقارنة بالادباء القصاصين العراقيين امثال الخليلي وذو النون والتكرلي، وعبد الله نوري ومحمود السيد، فادب الرحلات هو ما اضع نفسي له واقدمه بقناعة، كان من الضروري اذن ان اختص بادب الرحلات، فلماذا ازج نفسي في ادب القصة القصيرة؟ مع اني كتبت قصص تلك المجموعة في اوقات متباعدة، تسجل حالات كان لها اثرها البعيد في نفسي فرأيت ان اجمعها في كتاب.

× ومواقف الساعاتي من النقد والنقاد وهل هناك كتاب اعجبك يحمل هذا الاتجاه؟

– هنا اقول: اعجبت بكتب معينة مثل (تجاربي مع الحقيقة) لغاندي، ومعظم كتب سلامة موسى، ونقدت كتاب (بين الاطلال) ليوسف السباعي، اما اسلوبي في النقد، فقد تأثرت باسلوب صديقي المرحوم الدكتور محمد مندور، وانا مؤمن بالنقد الانساني البناء، كما اني اعلق على ندرة النقاد والجادين.

× والناقد العربي؟

– اذن استثنينا طه حسين ومندور والنقاش وقلة اخرين، نجد ان النقاد العرب غير موجودين، وان وجدوا، فانهم يحاسبون الكاتب لا على اثره الادبي بل على سلوكه، وهذا النقد لا علاقة له بالنقد، انه تناول شخصي للكاتب، وفي اعتقادي هذا الامر لا يعرفه النقد العربي.

× لماذا اخترت ادب الرحلات بالذات؟

– انا اؤمن بان (فوق كل ذي علم عليم) ولكل اديب طريقة في العمل والاختيار في ولوج عوالم الادب والكتابة اما عن اختياري لادب الرحلات، فلاني سافرت كثيرا، الامر الذي وفر امامي طريقا ادبيا، ربما لم يتوفر لغيري من الكتاب، وفي حبي للسفر اساسا نوعا من المغامرة والتضحية، واما اذا اراد الاديب المسافر ان يكتب عن رحلاته فلابد له ان يضحي اكثر، يضحي بوقته، ويبذل جهودا في استقصاء الاحوال والظروف المحيطة في ذلك البلد.

والفضل في ولوجي لهذا الادب يعود الى (والدتي رحمها الله) اذ كانت تاخذني معها في سفراتها بالقطار من بغداد الى البصرة، وكنت اشعر، وانا طفل صغير ان العوالم التي يمر بها القطار غريبة ومثيرة، فكان القطار يمر وسط بساتين النخيل والاهوار وغير ذلك. وكنت حينها احسب نفسي (سندباد) في قارب صغير، تحول الى سفينة كبيرة، وعندما صرت تاجرا، وتوفرت لدي الوسيلة للسفر، ورحلت الى فرنسا وسويسرا وانكلترا، شجعني على القيام بسفرات اخرى الى الهند وامريكا وكافة الاقطار العربية والدول الاوروبية والاتحاد السوفياتي.

× هل تعود قليلا الى البداية؟

– يوم كنت طفلا في مرحلتي الابتدائية، وانا استمع الى عمي (عبد اللطيف) رحمه الله، يرتل القرآن ترتيلا شجيا في ليالي رمضان المباركة، كان صوته الرجولي الجهوري، يؤثر في نفسي بعمق روحاني وخشوع وجداني، كما كنت اصغي بمتعة ورغبة لما يقرأه علينا شقيقنا من قصص بطولات الامجاد وغراميات الاجداد (عنتر وعبلة) و(المياسة والمقداد) و(ابو زيد الهلالي) فكان يخيل الي ان الشاعر العبقري والكاتب الالمعي والبطل الاسطوري رسول ذا معجزة بل نبي، لذا سرت وراءهم واقتفيت اثارهم ونهلت من منهلهم، الا البطولة فكنت منها معطل.

× وماذا عن عصا الملا وقراءة المعلقات والدراسة الجامعية؟

– انا اديب مخضرم، اذ نشأت وتتلمذت على يد (الملا) التي لا تفارقها (العصا) والتهديد والوعيد الذي ما زال صداه يلهب كفي وظهري (العصا لمن عصى) ثم دخلت رحاب الجامعة فشعرت بالحرية والاحترام، حرية الكلام والرأي والمناقشة واحترام التلميذ للاستاذ، والاستاذ للتلميذ، ويسري ذلك حتى بين التلميذ والعميد، كما تثقفت على شعراء المعلقات، وشعراء المجد الاسلامي، وخاصة العصر العباسي، وعاصرت كتاب الاربعينيات (المنفلوطي) و(جبران) و(نعيمة) و(طه) و(الزيات) و(فهمي المدرس) و(ابراهيم صالح شكر) و(الزهاوي) و(الرصافي) و(الخليلي) و(ذو النون ايوب).

× واداباء جيلك ومجالسهم؟

– التقيت بالسياب ونازك الملائكة، وصادقت لميعة عباس عمارة (عبد الملك نوري) و(د. صفاء خلوصي) و(عبد المجيد لطفي) و(مكي السد جاسم) و(حسين امين) و(عبد الرزاق عبد الواحد) و(مصطفى جواد) و(علي الوردي) و(ذو النون ايوب) و(الخليلي) و(فؤاد عباس) و(عبد الرزاق الهلالي) وترددت على الندوات الادبية، وعاصرت انبثاق الشعر الحر، وواكبت الحركة الادبية المعاصرة، وربطتني باكثرهم وشائج محبة وعمق تفاهم، ونسيج محبة صافية نقية، الا انني لم يهزني الشعر الحر، ولم يطربني، بل لم افهمه ولم يفهمني، فاعذره وليعذرني.

× وكيف تقيمون الحركة الادبية حاليا؟

– الحركة الادبية غزيرة الانتاج، وتراثنا الادبي والثقافي يزخر بالروائع، التي يمكننا ان ننهل منها ونعيد طبعها بعد تبويبها واخراجها حسب الذوق المثقف المعاصر.

وباعتقادي، ان انتاجنا الادبي غزير في جميع الدول العربية، شعراء، ادباء وعلماء، انما هناك سوء في التوزيع، ومما يدعم قولي هذا من وجود العديد من المؤلفات والدواوين والمراجع التي تخدم الحركة الثقافية والادبية.

اذاً، هناك حركة ثقافية وادبية وانتاج عزير، ولكن هناك سوء واهمال في التوزيع.

× محاورة اخيرة، ماذا تعني هذه الكلمات للساعاتي المحامي ناجي جواد:

× الطفولة؟

– البراءة، وتعني صفحة بيضاء قبل ان يشوهها المجتمع.

× الرجل؟

– يعني الشهامة، الحلم، الكرم.

× التسامح؟

– صفحة العظماء علما ومقدرة.

× الامل؟

– ساقية تروي شجرة طموحنا لتنمو وتزدهر ثم تثمر.

× الحب؟

– واحة في صحراء حياتنا، تخضر حولها اغصان امالنا وتلون زهور امانينا.

× الانانية؟

– صفحة تلازم ذوي النفوس الصغيرة.

× الحقد؟

– ليس له مكان في قاموس قلبي، اذ الحياة عندي رحلة قصيرة.

× المرأة؟

– هي النصف الحلو والمر في حياتنا.

× الغرور؟

– صفة الجاهل عقلا ويجب على المرء، ان يعتبر بالاية الكريمة (وفوق كل ذي علم عليم).

× الشعر؟

– موهبة للشاعر واغنية للمستمع.

× الموسيقى؟

– غذاء الروح وتهذيب النفس.

× الهواية؟

– حب الاصدقاء والنساء والكتب والاسفار.

× اللون؟

– الاخضر لانه يرمز الى الديمومة، ديمومة الحياة.

× الكتاب الذي اثر في نفسك؟

– (العبرات) و(الايام) و(زهرة العمر).

× فصول السنة؟

– احب فصول السنة عندي، الشتاء حيث يذكرني بعطف امي وحرارة قلبها، والربيع، لانه يحفزني لربط حقائبي وتخطيط سفرتي، اما الخريف فلا احبه، لانه يرمز الى خريف العمر.

× اغلى امانيك؟

– ان ينقضي مشوارنا بالمحبة والسلام.

× الغربة؟

– وحشة مزحنة.

× الموت؟

– فراق ممض.

جريدة الاتحاد ١٩٨٦

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
الاخراج الفني: خالد خضير
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

اقدم مصلحي الساعات في بغداد

علي ناصر الكناني

وانا في طريقي لكتابة هذا التحقيق عن الساعات القديمة واقدم مصلحيها فكرت في ان التقي اولا السيد ناجي جواد الساعاتي الباحث المعروف لتكوين فكرة تاريخية عن اوائل الساعات في العراق ولعل من المفيد هنا ان نذكر انه الف العديد من الكتب من بينها كتاب (قصة الوقت(.

اضافه الى انه كان قد مارس تصليح الساعات في بداية حياته ولفترة طويلة ولعل مايؤكد اعتزازه بهذه المهنة التي توارثها عن والده إهداؤه قبل اكثر من خمسة عشر عاما مجموعة كبيرة من الساعات القديمة بمختلف انواعها يزيد عددها على المائة ساعة الى المتحف البغدادي كدليل محبة ووفاء الى مدينته بغداد.. وخلال لقائنا به طلبنا منه ان يعطينا فكرة عن اوائل الساعات في العراق فقال:

– اود ان اشير الى ان اول ساعة اهديت من العراق الى شارلمان ملك الافرنج في زمن الخليفة هارون الرشيد كانت ساعة مائية على شكل اناء فخاري مخروطي الشكل وقد رقمت من الداخل وهي اشبه (بحب الماء) ويقاس الوقت من خلال ارتفاع الماء الى الاعلى وتحتوي على كرة برونزية اشبه بالطوافة فكلما يرتفع الماء تسقط الكرة البرونزية على صينية كبيرة من النحاس فتحدث صوتا عاليا ولذلك سميت بالساعه الدقاقه وقد ذكر الدكتور مصطفى جواد بان ساعه مائية مشابهة لساعة هارون الرشيد قد ثبتت في مدخل المدرسة المستنصرية اما شقيقه الحاج ابراهيم الحاج جواد الساعاتي مواليد ١٩٠١ فلقد حدثنا عن بداياته مع هذه المهنة قائلا:

– ورثت المهنة من والدي منذ طفولتي في سوق الخفافين وكان يسمى سوق الساعجية وكنت اساعد والدي في تصليح تلك الساعات

وماذا عن اشهر الساعات في ذلك الوقت؟

– هناك العديد من انواع الساعات واشهرها ام الطمغة (سركيسوف) قسطنطينية ام الجيب وساعة اخرى تسمى (قبطان) و(لونجين) وامارس مهنتي هذه منذ تسعين عاما وحتى الان وتوجد ايضا ساعات اخرى منها ام الانكر وزينث ويقال ان صناعة الساعات هي اصلا في العراق ثم انتقلت فيما بعد الى اوربا

× وكم كانت اجور التصليح انذاك ومدى دقته؟

– كانت اجور التصليح (بيشلغ) أي درهم ثم صارت الربية فاصبحت اسعار التصليح ربية أي مايعادل ٧٥ فلسا او ربيتين ثم تعلمت تصليح الكراموفون بعد دخول الاسطوانات الى العراق مما جعلني اترك عمل تصليح الساعات وهناك تشابه نسبي في المسننات بين الكراموفون والساعات وكان يتردد علينا الفنان الراحل محمد القبانجي ورشيد القندرجي وحسن خيوكة وغيرهم ولم ترجع ساعة قمنا بتصليحها حتى الان واقصد ان اهم شيء عند الساعاتي هي سمعته ومن الذين كانوا مشهورين في هذا المجال عمي لطيف الساعاتي واخي كاظم جواد الساعاتي رحمهما الله وكان عدد الساعاتية قليلا في بغداد ولعل احسنهم بلا منازع كان الاسطة (حسين بن جعفر) وطبعا كان ذلك ايام العصملي

× ثم سالنا شيخ المصلحين عن مستوى مهارة ودقة التصليح عند ساعاتية هذه الايام فقال:

– رغم ان عملنا الان محصور بتصليح الساعات الكبيرة فقط بسبب كبر السن وشحة مواد التصليح قمت بتصليح احدى الساعات التي كانت عبارة عن محبس وكانت مكوناتها صغيرة جدا وانجزتها بالشكل الصحيح اما الساعاتية في الوقت الحاضر فهم اقل مهارة واقل صدقا في القول والعمل ومن الطريف انه كان في السابق ان صاحب الساعة يسال عن اخلاق الساعجي اولا ليطمئن على دقة التصليح وكان سعر الساعة بين ليرتين الى ٣٠ ربية (لام الطمغة) ورغم ان نوعية ساعات اليوم هي اضبط من السابق ولكن دقة الساعة القديمة تثيرني نغماتها لانها تذكرني بايام الشباب ومرة قمت بتصليح ساعة الاذاعة عندما اصابها عطل قبل ٤٠ سنه وتم تصليحها باليوم نفسه واود ان اذكر لك ان اقدم ساعة عندي عمرها يتجاوز الـ (١٥٠) سنه وان ساعة القشلة هي اقدم ساعة في بغداد وذلك في زمن مدحت باشا حيث كان الناس يضبطون ساعاتهم عليها او على ساعتي الحضرتين الكاظمية والكيلانية واتذكر مرة انني قمت بتصليح ساعة جدارية تعود الى الملك غازي ورفضت ان اخذ اجرا على عملي.

عراقيون
من زمن التوهج